نبذة من أحوال المصنف رحمه الله تعالى

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي نسبة إلى يحصب بن مالك
أي قبيلة باليمن السبتي نسبة إلى سبتة مدينة مشهورة بالمغرب الغرناطي نسبة
إلى غرناطة المالكي قاضي سبتة صاحب التصانيف الجليلة كشرح مسلم ومشارق الأنوار
وغيرهما نحو ثلثين تأليفا نقل إلى غرناطة في سنة إحدى وثلثين وخمسمائة ولم يطل
أمده بها ثم ولي قضاء سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة في شهر شعبان سنة ست
وسبعين وأربعمائة فهو سبتي الدار والميلاد أندلسي الأصل فإن أصوله نشأوا
قديما بالأندلس ثم انتقلوا إلى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل
إلى سبتة بعد سكنى فاس كان إماما في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم
العقلية والنقلية خطيبا بليغا وكانت وفاته يوم الجمعة بمراكش في جمادى الآخرة
سنة أربع وأربعين وخمسمائة فكان عمره الشريف ثمانيا وستين سنة ✦
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه وأشياعه وحزبه وسلم تسليما كثيرا

١٢٨٦

فيه شفاء وهو هدى وبشرى للمؤمنين

بعونه سبحانه من تاليف الامام العلامة القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي

شفا بتعريف حقوق مصطفى

بقلم بندہ محمد [illegible] ستر الله عيوبه

بحسن تصحيح العالم القمقام الفاضل الهمام وحيد الزمن مولوي احمد حسن المراد آبادي

طبعت في مطبع الصديقي
في بريلي باهتمام المولوي محمد [illegible] في المطبع

بعرق ریزی سید [illegible] علی [illegible] بریلوی

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الامام العالم الهمام العلامة ... شيخ الحفاظ علامة زمانه وحيد عصره فريد دهره ذكي الشريعة علم
الهدى فريد عصره وربيع دهره الحبر الاديب الفاضل اللبيب البارع الاديب
رئيس الاصحاب سراج الدين ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المصري
المالكي ملكه الله امد اماله وتقبل منه صالح اعماله بقراءتي عليه وهو
يسمع وذلك في رجب من سنة اثنتين وستين وستمائة بمسجد الله تعالى تجاه
مدرسة ... دار الخلافة قال حدثنا ابو العباس احمد
بن عمر بن ابراهيم القرطبي الانصاري في شوال سنة اثنتين وثلثين وستمائة
قال انبانا القاضي الفقيه ابو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم واخبرنا
الامام تاج الخلافة قدوة الطوائف عبد الله بن ابي القاسم بن عمر الشار
مساحي قراءة مني عليه قلت له اخبرك محمد بن عبد الرحمن بن محمد الانصاري
مناولة فاقر به وقال نعم قال اخبرنا الفقيه ابو الحسين محمد بن احمد بن
جبير الكناني قراءة مني عليه قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن
محمد بن عيسى كتابة واخبرنا الامام الحبر البحر الغزير عبد الله بن عبد الرحمن
بن ابي حفص زعيم المالكية فيما قرأته عليه قال انبانا محمد بن ابراهيم
بن عبد الرحمن الانصاري قال انبانا ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله
الحجري قالوا جميعا اخبرنا الامام القاضي ابو الفضل عياض بن موسى
بن عياض اليحصبي قال التميمي في روايته قراءة عليه وانا اسمع قال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذى ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شىء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فأمن به وعزره ونصره من جعل الله له فى مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمى وتنمى وعلى اله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبى وقلبك بانوار اليقين ولطف لى ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شوقهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته واثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم فى عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا فى الدارين غيره فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون

الحميد لعباده قوله تلي الله ثم ذكر شرف خوضه بما يليق **فانك** كررت على
السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه السلام وما يجب له من توقير
واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل
قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور
وامثال **فاعلم** اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني
اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي
تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب
للنبي ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة و
النبوة والخلة والمحبة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها
القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد
ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما رجوت
لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه
العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من
حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتب ويزداد الذين امنوا
ايمانا ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما
حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ونا الحسين
بن محمد ونا ابو عمر النمري ونا ابو محمد بن عبد المؤمن ونا ابو بكر محمد بن بكر ونا
سليمان بن الاشعث ونا موسى بن اسمعيل ونا حماد ونا علي بن الحكم عن عطاء عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله
بلجام من نار يوم القيامة **فبادرت** الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤديا
من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن

والبال بما طرقه من مقاليد المحنة التى ابتلى بها وكادت تشغل عن كل فرض ونفل و
تردّ بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمّه كله فيما
يحمد غدا ويذم محلّه فليس ثمّ سوى حضرة النعيم وعذاب الجحيم ولكان عليه خويصته
واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع
قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا و
يقربنا اليه زلفى ويحظينا بمنه ورحمته فلما نويت تقريبه ودرجت تبويبه
ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف
حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه فى اقسام اربعة **القسم الاول** فى تعظيم العلى
الاعلى لقدر هذا النبى قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه فى اربعة ابواب **الباب الاول**
فى ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول **الباب**
الثانى فى تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا **الباب الثالث** فيما ورد
من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به فى
الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا **الباب الرابع** فيما اظهره الله تعالى
على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون
فصلا **القسم الثانى** فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلم ويترتب القول فيه
فى اربعة ابواب **الباب الاول** فى فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع
سنته وفيه خمسة فصول **الباب الثانى** فى لزوم محبته ومناصحته وفيه
ستة فصول **الباب الثالث** فى تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة
فصول **الباب الرابع** فى حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
وفيه عشرة فصول **القسم الثالث** فيما يستحيل فى حقه وما يجوز عليه وما يمتنع

فعيل كل من ليس تحته النوم وقيل الانام الناس وقيل الانام المخلوقات او جميع ما على وجه الارض ١٢

ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله تعالى هو سر الكتاب
ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه
من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند
التقصى لموعده والتفصى عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن
باليقين وتملاء انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبى حق قدره ويتحرر الكلام
فيه فى بابين **الباب الاول** فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول فى
العصمة وفيه ستة عشر فصلا **الباب الثانى** فى احواله الدنيوية وما يجوز
طروءه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول **القسم الرابع** فى تصرف
وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه فى بابين **الباب
الاول** فى بيان ما هو فى حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول **الباب
الثانى** فى حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه
ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة و
وصلة للبابين اللذين قبله فى حكم من سب الله تعالى وملائكته ورسله وكتبه وآل
النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه فى خمسة فصول وبتمامها ينجز
الكلام ويتم الاقسام والابواب ويلوح فى غرة الايمان لمعة منيرة وفى تاج التراجم
درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفى صدور قوم مؤمنين
وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين **القسم
الاول** فى تعظيم العلى الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا لا خفاء على من مارس شيئا
من العلم او خص بادنى لمحة من الفهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه
اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه
الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى فى كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه

من اخلاقه وادابه وحض العباد على التاسي به وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي
تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله
الفضل بدأ وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه
الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتائيده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات
البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده
حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه نا
ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي
نا ابو علي السنجي نا محمد بن احمد بن محبوب نا ابو عيسى بن سورة الحافظ نا اسحق
بن منصور نا عبد الرزاق نا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا
فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا **الباب الاول** في ثنائه تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل
ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان
فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جاء من ذلك مجيء المدح
والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي
وقرأ بعضهم من انفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم اعلم الله تعالى المؤمنين او
العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه
بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته
فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها

على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم
على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضربهم في دنياهم واخراهم
وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف
رحيم ومثله في الآية الاخرى قوله لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ اِذْ بَعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلًا
مِّنْ اَنْفُسِهِمْ الآية وفي الآية الاخرى هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِي الْاُمِّيِّيْنَ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ وقوله
كَمَا اَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُوْلًا مِّنْكُمْ وروى عن علي بن ابي طالب عليه السلام في قوله
تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا قال ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا
نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِيْنَ
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عز وجل عجز خلقه عن
طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم
مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا
صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال مَنْ يُّطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ اَطَاعَ
اللّٰهَ وقال تعالى وَمَا اَرْسَلْنٰكَ اِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِيْنَ قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة
الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى
يقول وَمَا اَرْسَلْنٰكَ اِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِيْنَ فكانت حيوته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله
عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله
رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني
للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل

ورحمة لكما فرتبا خير لعتباي قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين وللكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل
اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل
علي بقوله ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وروي عن جعفر بن محمد الصادق
في قوله فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم و
قال الله تعالى اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى
الله عليه وسلم وهو قوله مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى
الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان
اي فيهم بنوره يستنيرون وبظهوره يوجدون ١٢
مستودعا في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة
صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة
اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ اي تكاد
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه
اي ادعاء النبوة وتبليغ الرسالة ١٢
الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا فقال قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ وقال إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ومن هذا قوله أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ
صَدْرَكَ الى اخر السورة شرح وسع المراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه
لان الصدر غير قابل للتضييق والتوسيع ١٢
بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه الم
نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ
ظَهْرَكَ قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ قال يحيى

بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان

فهذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته

عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل

الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور

دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم

وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع

الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد

ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله و

رسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك

وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك

احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه

تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله

ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة فلا يجوز جمع هذا الكلام في غيره عليه السلام

حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه

نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة التمار نا ابو داود

السجستاني نا ابو الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن

حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء

الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية

الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو

التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم

فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سُليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف
الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول
ابي سُليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر
الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله اِنَّ الله وَمَلٰٓئِكَتَهٗ
يُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ هل يصلون راجع الى الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه
آخرون لعلة التشريك وخصّوا الضمير بالملائكة وقدّروا الاية ان الله يصلي وملائكته
يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال مَنْ يُّطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ اَطَاعَ اللهَ وقد قال تعالى قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللهَ
فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ الآيتين روي انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان
نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قُلْ اَطِيْعُوا اللهَ وَالرَّسُوْلَ فقرن
طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله في ام الكتاب اِهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فقال ابو العالية والحسن البصري
الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيْمُ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه
عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية
في قوله صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
حكى الماوردي ذلك في تفسير صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ عن عبد الرحمن بن زيد و
حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقٰى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل
في قوله تعالى وَاِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم

وقال تعالى وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ الآيتين اكثر المفسرين

على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به

وقرئ صدق به بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل

علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ

قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم

الفصل الثاني

في وصفه له تعالى بالشهادة و

ما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة

اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه

صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده

وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به الى الحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله

نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا ابو

عبد الله محمد بن يوسف نا البخاري نا محمد بن سنان نا فليح نا هلال عن عطاء

بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وحرزا للاميين انت عبدي

ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة

السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا

لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله

بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق ولا متزين

بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه

والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف

خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب
مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس و
في حديث آخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته بالتوراة عبدي
احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل
حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وقد قال تعالى فبما رحمة من
الله لنت لهم قال السمرقندي ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين
رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله سمحا
سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال ابو الحسن القابسي
ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في الاية
الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك
قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدلا خيارا و
معنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا
عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل
جلاله اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فيقول اممهم ما جاءنا من بشير
ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال الله تعالى
وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم
قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هو هي

مصيبتهم نبيهم صلى الله عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع
المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال
عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان
معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى
برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق
في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن
اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى
ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن
لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال
الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام
الشريعة خلقه ان يتأدب بادب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو
عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثر ما فيها
من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب
وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون

بذلك استيناساً له ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدا
بثنائه وسلامته قبل ذكر معاتبته عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته
وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبرئيل فقال ما يحزنك قال كذبني
قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ
من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم
غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين
فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين
فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن كان قبله ووعده
النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف
فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون
على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك ومما ذكر من خصائصه وبره تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم
فقال يا ادم يا ابراهيم يا نوح يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها
الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى

بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير
في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين

من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل
وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ
وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره
قال ابو الجوزاء ما اقسم الله عز وجل بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم
البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس
على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة
اسماء وذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان
اراد يا محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد
وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك
لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى الله
عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكده فيه القسم
عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى
صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش
لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر
وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه
بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او
حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي

نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول

اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله جل لهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في

تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان

حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم عليه السلم فهو عام ومن قال هو ابراهيم

عليه السلام وما ولد فهي اشارة ان شاء الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة

القسم به في الموضعين وقال تعالى الم ذلك الكتب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام

اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف

هو الله تعالى واللام جبرئيل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي

ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا

القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه

ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق

والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة

ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا

وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب

محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء

في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده قال جل اسمه

والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف المفسرون في سبب نزول هذه السورة فقيل كان

ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل

بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل

رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه

الاول القسم له عما اخبره من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى ا
وهذا من اعظم درجات المبرة **الثانى** بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك
ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك **الثالث**
قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اى مآلك فى مرجعك عند الله اعظم
مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك
مما اعطيتك فى الدنيا **الرابع** قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه
الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج
فى الدنيا والثواب فى الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض ال النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال ليس اية فى القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل احد من امته النار **الخامس** ما عدده الله تعالى عليه من نعمه وقرره
من الائه قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف
التفاسير ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب
عليه عمه واواه اليه وقد قيل اواه الى الله تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه
وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن
وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه
ولا قلاه فكيف بعد اصطفائه واختصاصه **السادس** امره باظهار نعمته عليه
وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر
النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى
من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم
على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب
محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل فى قوله والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق

النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه
الايات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى و
تنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو
الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى
في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من
عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى
بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من
الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز
وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله واشتملت هذه
الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الآفات في
هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى
ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي
اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من
الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على
الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى
ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قرأها بالضاد
فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم

بالتقاف وقال تعالى ن والقلم الآيات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه
المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط
امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى
درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه
عدّ ولا يمتنّ به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته و
هداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن
وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن
قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان
اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من
عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه
على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله
عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله
اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه
على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده
واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته

عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
قيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل و
قيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو
امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان

النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت نا
أبو ذر الحافظ نا أبو محمد الحموي نا إبراهيم بن خزيم الشاشي نا عبد بن حميد نا هاشم
بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى
قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه
من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل أو جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله أيضا
لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من السماء
آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون
عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله و
مثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا
قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ○
عزاه الله بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك
عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه و
أبان عذره بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء
ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر
على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثير من هذا المعنى

الفصل الثالث فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته
على الانبياء وحظوة رتبته قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون اخذ الله الميثاق
بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن
به وقيل ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث
وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي و
قتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح الى قوله
شهيدا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه
وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر
الانبياء وذكرك في اولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان
يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسولا قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره ههنا مقدما قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل
نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال
اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث

الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء أعطي فضيلة او كرامة الا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة الى محمد صلى الله عليه وسلم اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن

في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ودفع العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي من بقي فيها من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت منهم مكة عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف

والفتن وقال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله
وملئكته يصلون على النبي الآية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلوته
عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه فالصلوة من الملائكة ومنا له
دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلوة
عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وقد حكى ابوبكر بن
فورك ان بعض العلماء تأول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اى في
صلوة الله تعالى علي وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيامة وذكر بعض المتكلمين في
تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده له
قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه
قال ان الله وملئكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله
هو مولاه الآية مولاه اى وليه وناصره وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة و
قيل ابوبكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره **الفصل التاسع** فيما تضمنته
سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق
ايديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته
لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من
القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور
له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور
لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا
بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف

ويتم بره ثم ذكر لك في الدنيا وينصره وينصرك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري
عدوه اياه و فتح اكثر البلاد عليه ولتسهيله ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ
جنة السعادة ونصرة النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة
التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما وعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم و
الستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم ولعدهم من رحمته وسوء
منقلبهم ثم قال إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا الاية فعدد محاسنه وخصائصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا
لامته بالثواب قيل بالمغفرة ونذيرا لاعدائه بالعذاب قيل محذرا من الضلالات
ليؤمنوا بالله ورسوله من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اى تجلوه وقيل تنصروه
وقيل تبالغوا في تعظيمه وتوقروه اى تعظموه وقرأ بعضهم تعززوه بزائين من
العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع
الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة
من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب
وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال
جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع
غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه
الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم
وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ
إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يعني بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل قدرة وهذه

استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم
وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله هو خالق فعله ورميه
وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى
لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى
انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت
وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من
فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل
من ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من
عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهده من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى
والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد
نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم
نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك
من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث والسير
في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان
شانئك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير
وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد
عليه قوله فقال ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد
الوحيد او الذي لا خير فيه وقال ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع
المثاني السور الطول الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران العظيم سائره وقيل السبع المثاني

ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الأنبياء وسمى القرآن مثاني لأن القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال وأنزلنا إليك الذكر الآية وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية قال فهذه من خصائصه وقال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى ثم هي على فنين أيضا منها ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال

صورته - وقوة عقله - وصحة فهمه - وفصاحة لسانه - وقوة حواسه - واعضائه
واعتدال حركاته - وشرف نسبه - وعزة قومه - وكرم ارضه - ويلحق به ما تدعوه ضرورة
حياته اليه من غذائه - ونومه - وملبسه - ومسكنه - ومكسبه - ومنكحه - وماله
وجاهه - وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على
سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين - والعلم - والحلم - والصبر
والشكر - والعدل - والزهد - والتواضع - والعفو - والعفة - والجود - والشجاعة
والحياء - والمروءة - والصمت - والتؤدة - والوقار - والرحمة - وحسن الادب - والمعاشرة
واخواتها - وهي التي جماعها - حسن الخلق - وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة
واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان تكون فيه
من اسسها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق
دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها **فصل** اذا كانت خصال
الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت
في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره
ويضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو
منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال
الى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير
المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب
والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام
المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء والشهادة

بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند
ذي العرش والطاعة ثَمّ والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤل والكوثر
وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تاخر وشرح الصدر ووضع الوزر
ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة
والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلوة الله والملائكة و
الحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته
وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه و
تكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على
الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل
ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الآخرة من
منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف
دونها العقول ويحار دون ادراكها الوهم **فصل** ان قلت اكرمك الله لا خفاء عن القطع
بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن
وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها
من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا
النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة
الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار
لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد
جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة
والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة و
ام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك

وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج اكحل اشكل
اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ
صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل
العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور
المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك
فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام واذا تكلم رئي كالنور يخرج
من بين ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب
اللحم قال البراء ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري
في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب
وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله
عنه في آخر صفته له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته
لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته كثيرة مشهورة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك
ان شاء الله تعالى **فصل** واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار
وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم
تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال عليه الصلوة والسلام بني الدين على النظافة حدثنا سفيان

بن العاص وغير واحد قالوا نا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي قال
ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن
سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من
جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها و
يضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه
سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه
وسلم وروى المزني عن جابر رضي الله عنه قال اردفني النبي صلى الله عليه وسلم
خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين
باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن
سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه
وسلم انك تاتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة او ما علمت ان الارض تبتلع
ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل
العلم بطهارة الحدثين منه وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في
شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم
يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه
صلى الله عليه وسلم شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه قال غسلت

النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا

وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته

ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك

له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله ابن الزبير دم حجامته فقال له رسول

الله صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي

نحو من هذا عنه صلى الله عليه وسلم في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك

ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت

بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة

بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من

الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة

فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات

ولد مختونا مقطوع السرة وقد روي عن امه امنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله

عنها قالت ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه

قال اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى

احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس

رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام وصلى ولم يتوضا قال

عكرمة لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا **فصل** واما وفور عقله وذكاء لبه و

قوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل

الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة

مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون

لا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج
الى تقرير لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى فوجدت في
جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب
عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه صلى الله عليه وسلم اني لاراكم من وراء ظهري
ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة مثله قالت زيادة زادها الله اياها في حجته وفي
بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفائي
كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم
للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما
وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم
الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم
كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني
قال حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها نا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني
نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمان نا محمد بن محمد بن مرزوق نا همام نا
الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى
الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب

بعد الاسراء والحظوة بما راى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة
اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده
ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت احدا
اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته كانما الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا
واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول
فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع
وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي
جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها
ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه
في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه
وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني
وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي
وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها
ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد
من اقام الصلوة كان مسلما ومن آتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله
كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد
في الحيوة ولا تثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش

وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا تمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما
لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة ومن
كتابه لوائل بن حجر إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب في التيعة شاة لا مقورة
الألياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى من بكر فاصقعوه مائة و
استوفضوه عاما ومن زنى من ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في
فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الأقيال أين هذا من كتابه لأنس في
الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر
استعمالهم هذه الألفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما
يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي
المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين
سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك أي سل عما شئت وهي لغة بني عامر وأما
كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها
الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم
وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له
والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم و
رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين
وإن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين
يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الأمهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة

تحتها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان
يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك
رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها
شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم
اني اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى
ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته و
عهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر
قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله
حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ
بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها و
قد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني
لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك
صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلا
… بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها
له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن
النغمة صلى الله عليه وسلم **فصل** واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشاه فمما لا يحتاج
الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش و
صميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من
اكرم بلاد الله تعالى على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي
رحمه الله نا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف نا ابو ذر عبد بن احمد نا ابو محمد
السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا قتيبة

بن سعيد نا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت
منه وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني
من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني
كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
قال الترمذي هذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار
العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم
ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم و
عن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح
ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح
وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه
مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء
والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتها وتذم بكثرتها لان كثرة الاكل والشرب
دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء

الحسد وخسارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة

مسبب للضجر وجفاء الحاس وجمود الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الغفلة والضعف

وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة

القلـ [illegible] نقل متواترا

من [illegible] لحديث ن

اثار من سلف وخلف ما لا يحتاج الى استشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم

به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل فذاما لابد منه فمن سيته

وهو الذي امر به وحض به لاسيما لا الارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي بقراءتي

عليه نا ابو الفضل الاصبهاني نا ابو نعيم الحافظ نا سليمان بن احمد نا بكر بن سهل نا عبد الله

بن صالح نا معاوية عن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن

صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم

من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف

لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وروى عنه عليه السلام انه كان احب

الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ

جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولكنه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه

ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب لا يعترض هذا بحديث بريرة وقوله الم

ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سواله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له

فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق

عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله عليه السلام هو لها صدقة ولنا هدية وفي

حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء

عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله عليه السلام
أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للأكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من
تمكن الجلسات التي يعتمد عليها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل
ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد فليس معنى الحديث
في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت
بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على
جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على الجانب الأيسر أهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به
من الأعضاء الباطنة حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه و
الطول وإذا نام النائم على الجانب الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه أما النكاح
فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة
معروفة والتمادح به سيرة ماضية وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس أفضل
هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا فإني
مباه بكم الأمم يوم القيامة ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين
نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فلينكح فإنه أغض للبصر و
أحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبب إلى
سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري
الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء
وقد كره غير واحد أن يلقى الله عزبا فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا
يحيى بن زكريا قد أثنى الله عليه أنه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده

فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قرره لنكح فاعلم ان ثناء
الله تعالى على يحيى بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل انكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذا نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل
مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم
القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة نفس كعيسى
او بكفاية من الله كيحيى فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات حاطة
الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة
عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاد
ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح بانها
ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم
ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب لانه ايضا مما
يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره
وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالتين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى صلى
الله عليه وسلم يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان عليه السلام
ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد
روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين خرجه النسائي وروي نحوه
عن ابي رافع وعن طاوس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع وشابه عن

صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه
التسع وتطهر من كل واحدة منهن قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطيب واطهر وقد قال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك
قال ابن عباس كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكان له ثلاث مائة امراة
وثلاث مائة سرية وحكى النقاش وغيره سبع مائة امراة وثلاث مائة سرية وقد كان
لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اورياء
مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة
الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب
وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين لكن
آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده
وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رزق
الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه و
يؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من
لم يره كما روي عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث
ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له عليه الصلوة والسلام هون عليك
فاني لست بملك الحديث واما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة
رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم
وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره **فصل** واما الضرب الثالث فهو ما تختلف
فيه الحالات في التمادح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة

معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه ولا فضيلة
في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتنى
بامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة
في صاحبه عند اهل الدنيا فاذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير
موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف
به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند معظميه ليست لعينه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته
فجامعه اذا لم يضعه ولا وجهه وجوهه غني بلا الحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عنده
احد من العقلاء بل هو فقير اذ لم يصل الى غرض من اغراضه اذ كان ما بيده من المال الموصل
لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق
ملي بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله
عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما داني ذلك من الشام والعراق وجلب اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا
ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها
بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات و
درعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن

الرد الغليظ ونقش على من حضرة اقبية الدبياج المخوصة بالذهب في رفع لمن لم يحضره اليانى

اذا المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الآلة وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية والمالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جمهور العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد بالسعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى اثنى الله تعالى بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واصل فطرته لم تحصل له باكتساب ولا برياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم تحقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى

وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا قال المفسرون اعطى الله يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر
كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال ألِلَّعب خُلقتُ وقيل في قوله تعالى
مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله
وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد
لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادها اياه بقوله لها
أَلَّا تَحْزَنِي على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى عليه السلام
ونص على كلامه في مهده فقال إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وقال تعالى فَفَهَّمْنَاهَا
سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وقد ذكر عن حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني
عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله
وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء
اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله اليه ملكا
يأمره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده
وقيل ان القاء ابراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق
بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو
ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله تعالى الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في
الجب بقوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا الآية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم
وقد حكى اهل التفسير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه لما نشأت
بُغِّضَتْ اليَّ الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله
منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم

حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة
النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما و
علما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة
وصدق اللسان والسماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة
والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى
الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي عليه السلام
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة
كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه السلام بها ان شاء الله تعالى

فصل ما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم
والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب
ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب
الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي
لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري
احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها
وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة
الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة

والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته عليه السلام
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي
لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص
وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
عليه السلام الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته و
عظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه

فصل

واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق
فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما
ادب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى اسأل
العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما أصابك الآية وقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا
العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة و
حفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا
محمد بن عتاب نا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك عن
ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروى
ان النبى صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على
اصحابه شديداً وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم ابعث لعاناً ولكنى بعثت داعياً و
رحمة اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال فى بعض كلامه
بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية ولو دعوت
علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك
فابيت ان تقول الا خيراً فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله تعالى انظروا فى هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس
وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق
عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله تعالى لم يزده فى جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله
ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ
تحت شجرة وحده قائلاً والناس قائلون فى غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو قائم والسيف صلتاً فى يده فقال من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده
فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه
فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره فى العفو عفوه عن اليهودية
التى سمته فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم
اذ سحره وقد اعلم به واوحى اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته وكذلك

أو يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا
بل قال لمن أشار بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه وعن أنس كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في
صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي
قال لا قال لم قال لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر
أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده
شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء إليه برجل فقيل له هذا
أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط
علي وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ
بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي
صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا إلى غير هذا
منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث
وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان
يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا اثنين لم أخبرهما يسبق
حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن
حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه
مما في الصحيح والمصنفات الثابتة مما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله تعالى عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عفا

صنعه وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخى
يوسف لا تثريب عليكم اليوم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضى الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم
صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله فانزل الله تعالى وهو الذى
كف ايديهم عنكم الاية وقال لابى سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه فى القول وقال ويحك يا ابا سفيان
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابى انت وامى ما احلمك واوصلك واكرمك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية
وهو ضد النذالة والسماحة التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد
الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير
فكان عليه الصلوة والسلام لا يوازى فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه
كل من عرفه حدثنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى رحمه الله نا القاضى ابو الوليد
الباجى نا ابو ذر الهروى نا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو اسحاق البلخى
قالوا انبانا ابو عبد الله الفربرى نا البخارى نا محمد بن كثير نا سفيان عن ابن المنكدر
قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن شئ فقال لا و
عن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان عليه الصلوة والسلام اجود
الناس بالخير واجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود
بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى
بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من
الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل

ان يبعث فقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على
هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له
عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من
الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله
عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن
عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء
فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد
وعن ابي هريرة اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يساله فاستسلف له رسول الله صلى
الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه
نائل والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير **فصل** واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث
يحمد فعلها دون خوف وكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد
حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو صلى الله عليه وسلم ثابت
لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه
جولة سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال نا القاضي سراج نا ابو محمد الاصيلي
نا ابو زيد الفقيه نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة
عن ابي اسحق سمع البراء وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته
البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب

وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رأى يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل
النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكره مسلم وعن العباس قال فلما التقا المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو
الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى
يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا
لله لم يقم لغضبه شيء قال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس
واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو
منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع
الناس واجود الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف
في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت
ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها
كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله
فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال
من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من
الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض
ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه

مرار وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس
بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات
بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهيته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان
بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء
قال الله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية حدثنا محمد بن عتاب بن محمد
بقراءتي عليه انبانا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا
محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان نا عبد الله نا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى
انس عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في
خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق
الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه
رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له
يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو
بن العاص وروي عنه عليه السلام انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه
كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط **فصل** واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم
مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام

كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا
ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال نا ابو اسحاق الحبال
قال انبانا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى
قالا انبانا الوليد بن مسلم نا الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن
بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد
الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب
فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب
الدابة اولى بمقدمها وكان عليه الصلوة والسلام يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل
قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره
ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه
من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده
في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس
منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن
الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء صنعته لم صنعته
ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن
عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم صلى الله عليه وسلم

يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة
الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس
ما التقم احد اذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه
وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان
يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى
يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم
تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او
قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته وسأله عن حاجته
فاذا فرغ عاد الى صلوته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن
او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن انس قال كان خدم المدينة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة
بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك **فصل** واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وقال وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وقال بعضهم من فضله عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى اعطاه
اسمين من اسمائه فقال الله تعالى بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وحكى نحوه الامام ابو بكر بن
فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقرائتي عليه نا امام الحرمين
ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم
الحجاج نا ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى
عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية

مائة عن النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب ان سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله
لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي و
روي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا
اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله و
ارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان
احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما
كان الغداة او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم
انه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال عليه السلام مثلي ومثل هذا
مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها
خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام
الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه عليه السلام انه قال لا يبلغني
احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته
على امته عليه السلام تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض
عليهم كقوله عليه السلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وتاخير
صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه
ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن
شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل
ذلك له زكاة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه
اتاه جبريل فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال

انا امر بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان
اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اخر عن امتي
لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا و
فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها عليه السلام عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله
عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم **فحدثنا** القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل
بقراءتي عليه قال نا ابو بكر محمد بن محمد نا ابو اسحاق الحبال نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابي
نا ابو داود نا محمد بن يحيى نا محمد بن سنان نا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم
بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم
ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث
انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت
فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عايشة رضي الله عنها
قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها
واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من
الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل
منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما

سائلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا
سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابى قتادة قال وفد وفد للنجاشى فقام النبى صلى الله عليه
وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى احب
ان اكافيهم ولما جئ باخته من الرضاعة الشيماء فى سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها
رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندى مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومها
فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبى صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ
اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه فقالوا امه
التى ارضعته وعن عمرو بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها
شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابى لهب مرضعته بصلة
وكسوة فلما ماتت سال من بقى من قرابتها فقيل لا احد وفى حديث خديجة انها قالت
له عليه السلام ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق **فصل** واما تواضعه عليه السلام على علو
منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير
بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عليه
السلام عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة
واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله
بقراءتى عليه فى منزله بقرطبة سنة سبع وخمس مائة قال نا ابو على الحافظ نا ابو عمر
بن عبد البر نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابو بكر بن ابى شيبة نا
عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابى العنبس عن ابى العدبس عن ابى مرزوق عن ابى غالب

عن ابی امامة رضی الله عنه قال خرج علینا رسول الله صلی الله علیه وسلم متوکئا علی
عصی فقمنا الیه فقال لا تقوموا کما تقوم الاعاجم یعظم بعضهم بعضا وقال انما انا عبد
آکل کما یاکل العبد واجلس کما یجلس العبد وکان صلی الله علیه وسلم یرکب الحمار ویردف خلفه ویعود المساکین
ویجالس الفقراء ویجیب دعوة العبد ویجلس بین اصحابه مختلطا بهم حیث ما انتهی به المجلس
جلس وفی حدیث عمر رضی الله عنه لا تطرونی کما اطرت النصاری ابن مریم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس رضی الله عنه ان امرأة کان فی عقلها شیء جاءته فقالت
ان لی الیک حاجة قال اجلسی یا ام فلان فی ای طرق المدینة شئت اجلس الیک حتی
اقضی حاجتک قال فجلست فجلس النبی صلی الله علیه وسلم الیها حتی فرغت من حاجتها
قال انس رضی الله عنه کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یرکب الحمار ویجیب دعوة
العبد وکان یوم بنی قریظة علی حمار مخطوم بحبل من لیف علیه اکاف قال وکان یدعی الی
خبز الشعیر والاهالة السنخة فیجیب قال وحج صلی الله علیه وسلم علی رحل رث وعلیه قطیفة
ما تساوی اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا ریاء فیه ولا سمعة هذا وقد فتحت علیه
الارض واهدی فی حجه ذلک مائة بدنة ولما فتحت علیه مکة ودخلها بجیوش المسلمین
طأطأ علی رحله رأسه حتی کاد یمس قادمته تواضعا لله تعالی ومن تواضعه صلی الله
علیه وسلم قوله لا تفضلونی علی یونس بن متی ولا تفضلوا بین الانبیاء ولا تخیرونی
علی موسی ونحن احق بالشک من ابراهیم ولو لبثت ما لبث یوسف فی السجن لاجبت الداعی
وقال للذی قال له یا خیر البریة ذاک ابراهیم وسیأتی الکلام علی هذه الاحادیث بعد هذا ان شاء الله تعالی
وعن عائشة رضی الله عنها والحسن وابی سعید وغیرهم رضوان الله علیهم فی صفته
صلی الله علیه وسلم وبعضهم یزید علی بعض کان فی بیته فی مهنة اهله یفلی ثوبه و
یحلب شاته ویرقع ثوبه ویخصف نعله ویخدم نفسه ویقم البیت ویعقل البعیر ویعلف
ناضحه ویأکل مع الخادم ویعجن معها ویحمل بضاعته من السوق وعن انس رضی الله عنه

ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضى حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فانى لست بملك انا انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن ابى هريرة رضى الله عنه دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله **فصل**

واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد عليه السلام ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام وقال عليه السلام والله انى لامين فى السماء امين فى الارض حدثنا ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى عليه نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو على السنجى نا محمد بن محبوب المروزى نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كريب نا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابى اسحاق عن ناجية بن كعب عن على رضى الله عنه ان ابا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقى ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا تخبرنى عن

محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل
عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن
الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث
علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك
فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان
ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم الكسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان
اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ لنفسه
ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا
حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله تعالى
يوم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ
احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير
مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله
برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما
يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة اسمع عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت

ولو اقص شيئا ثم عرانى مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اقم بعد ذلك بسوء

فصل

واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا ابو على الجيانى الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال اخبرنا ابو العباس الدلائى نا ابو ذر الهروى نا ابو عبد الله الوراق نا اللؤلؤى نا ابو داود نا عبد الرحمن بن سلام نا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن عمر بن عبد العزيز عن وهيب قال سمعت خارجة بن زيد رضى الله عنه يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اوقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدرى كان عليه السلام اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم تربع وربما جلس القرفصاء وهو فى حديث قيلة وكان صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساءه كانما على رؤسهم الطير وفى صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشى هونا كانما ينحط من صبب وفى الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف فى مشيته انه غير عرض ولا وكل اى غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل وترسيل قال ابن ابى هالة كان سكوته عليه السلام على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عايشة رضى الله عنها كان عليه السلام يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان عليه السلام يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلوة ومن مروته صلى الله عليه وسلم

نهيه عن النفخ في الطعام والشراب وبالأكل مما يليه والأمر بالسواك وإنقاء البراجم
والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل وأما زهده في الدنيا صلى الله عليه وسلم فقد
تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن
زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي عليه السلام و
درعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتا حدثنا سفيان بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي
قالوا نا أحمد بن عمر قال نا أبو العباس الرازي قال نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان
نا مسلم أبو الحسين بن الحجاج نا أبو بكر بن أبي شيبة نا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم
عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية أخرى من خبز شعير يومين متواليين
ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما
ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات
وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال لي إني عرض علي أن يجعل لي
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع
إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وفي حديث آخر
أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب
أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل
إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن كنا آل محمد

لنمكث شهرا ما نوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة رضي الله عنها انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يوثر في جنبه وعن عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي رحمة له مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما ارى به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه

فصل

واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال اخبرنا ابو القاسم الطرابلسي نا ابو الحسن القابسي انا ابو زيد المروزي نا ابو عبد الله الفربري نا محمد بن اسمعيل نا يحيى بن بكير عن الليث

عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا انتهى وفي
روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رحمه الله عن ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله
والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت اني شجرة تعضد وفي جعل الكلام
لوددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية انه كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل
له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا
ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة رضي الله عنهما وقالت عائشة رضي الله عنها كان
عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى
تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنه وام سلمة
وانس وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته
نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم
توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال
ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان
ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ ال عمران ثم سورة سورة
يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين
نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وال عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله عنها
قام عليه الصلوة والسلام باية من القران ليلة وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة

كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام
اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل اصل
ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي و
العلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي
والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث آخر
وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** قال المؤلف رحمه الله
اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفات لانها
صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبهم
اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد
قال عليه الصلوة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال
آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم صلى الله عليه وسلم طوله ستون
ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رأيت موسى فاذا هو رجل ضرب رجل اقنى كأنه
من رجال شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من
ديماس في حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث
آخر في صفة موسى عليه السلام كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة
من قومه ويروى في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني
من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم

وجهاً واحسنهم صوتاً وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابراً
نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حياً
وقال ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً الى قوله الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم
ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين وقال في نوح انه كان عبداً
شكوراً وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية وقال اني عبد الله
آتاني الكتاب الى قوله ما دمت حياً وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلاً حيياً ستيراً ما يرى من جلده شيء
استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكماً الآية وقال في وصف جماعة
منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استأجرت القوي الامين وقال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلاً هدينا الى قوله
فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والحكم والاجتباء والنبوة
وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول كريم الى قوله امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في
اسمعيل انه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى انه كان مخلصاً وفي سليمان
نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار الى الاخيار وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى
ستجدني ان شاء الله صابراً وقال في شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين
وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وقال ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية

سفيانُ عن الحزن الدائم في آيٍ كثيرةٍ ذكر فيها من خصائلهم ومحاسن اخلاقهم الدالة
على كمالهم ونبذ من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن
الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس
وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان عليه السلام كان
مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس
لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين
وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها
ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى
الجائع وروى ابو هريرة رضي الله عنه عليه السلام خففت على داود القرآن فكان يأمر بدابته
فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له
الحديد الاية وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده ويغنيه عن بيت مال الله وقال عليه
الصلوة والسلام احب الصلوة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود
وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان
يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل
باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في
خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على الله من ان
يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام
وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى لما ورد ماء مدين
كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبياء

قبلي ليبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه
السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق
بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع
مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام
كان يستظل بعريش وكان ياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا
لله تعالى لما اكرمه الله بمكالمته واخبارهم في هذا كله صلوات الله عليهم مسطورة وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت
الى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا

فصل قال القاضي رحمه الله قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر
اوسع فمجال هذا الباب في حقه عليه السلام ممتد يتقطع دون نفاده الادلاء وبحر
علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح
والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم
هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا
وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله

حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان
وخمسمائة قال نا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن محمش والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا انا
ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي
قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال نا سفيان بن وكيع نا جميع بن

عمر بن عبد الرحمن العجلي املاءً من كتابه قال ثنی رجل من بنی تمیم من ولد ابی هالة زوج
خدیجة ام المؤمنین رضی الله عنها یکنی باعبد الله عن ابن لابی هالة عن الحسن بن علی
بن ابی طالب رضی الله عنه قال سألت خالی هند بن ابی هالة قال القاضی ابو علی رحمه الله
وقرأت علی الشیخ ابی طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الکرخی لبا قلانی قال و
اجازنا الشیخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خیرون قالا اخبرنا ابو علی الحسن بن احمد
بن ابراهیم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسی قراءة علیه
فاقر به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن یحیی ابن الحسن بن جعفر بن عبید الله بن الحسین
بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب المعروف بابن اخی طاهر العلوی قال نا اسمعیل بن
محمد بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب قال ثنی علی بن جعفر
بن محمد بن علی بن الحسین عن اخیه موسی بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابیه محمد بن
علی عن علی بن الحسین قال قال الحسن بن علی واللفظ بهذا السند سألت خالی هند بن ابی هالة
عن حلیة رسول الله صلی الله علیه وسلم وکان وصافا وانا ارجو ان یصف لی منها
شیئا اتعلق به قال کان رسول الله صلی الله علیه وسلم فخما مفخما یتلألأ وجهه تلألؤ
القمر لیلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظیم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقیقته فرق والا فلا یجاوز شعره شحمة اذنیه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبین
ازج الحواجب سوابغ من غیر قرن بینهما عرق یدره الغضب اقنی العرنین له نور یعلوه
یحسبه من لم یتأمله اشم کث اللحیة ادعج العینین سهل الخدین ضلیع الفم اشنب مفلج الاسنان
دقیق المسربة کان عنقه جید دمیة فی صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسک
سواء البطن والصدر مشیح الصدر بعید ما بین المنکبین ضخم الکرادیس انور المتجرد
موصول ما بین اللبة والسرة بشعر یجری کالخط عاری الثدیین والبطن ما سوی ذلک
اشعر الذراعین والمنکبین واعالی الصدر طویل الزندین رحب الراحة شثن

الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال شائن الاطراف او سائل الاطراف سبط القصب
خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفيا
ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه و
يبدأ من لقيه بالسلام قلت له صف لي منطقه قال كان عليه السلام متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي
ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام
لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار
اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته
اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن
مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه
فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه وملبسه ومجلسه و
شكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى
منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزأ لله تعالى وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه
وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته
في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من
مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب و
ابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع

ابلاغها ثبّت الله قدميه يوم القيامة لا يُذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احدٍ غيره

قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون رُوّادًا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون

ادلّة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيهم ويؤلّفهم ولا يفرّقهم يكرم كريم كل قوم ويولّيه

عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احدٍ بشره وخلقه ويتفقّد

اصحابه ويسأل الناس عمّا في الناس ويحسّن الحسن ويصوّبه. ويقبّح القبيح ويوهّنه

معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملّوا لكل حالٍ عنده عتاد لا يقصّر

عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمّهم

نصيحةً واعظمهم عنده منزلةً احسنهم مواساةً وموازرةً فسألته عن مجلسه كيف

كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكرٍ

ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس

ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدًا اكرم عليه منه

من جالسه او قاومه لحاجةٍ صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجةً لم يردّه

الا بها او بميسورٍ من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابًا وصاروا عنده

في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده في

الحق سواءً مجلسه مجلس حلمٍ وحياءٍ وصبرٍ وامانةٍ لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه

الحرم ولا تُنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين

يوقّرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته

عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه قال كان عليه السلام دائم البشر سهل الخلق

ليّن الجانب ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخّابٍ ولا فحّاشٍ ولا عيّابٍ ولا مزّاحٍ يتغافل

عمّا لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاثٍ الرياء والاكثار وما لا يعنيه

وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما
يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اولهم يضحك مما
يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا
رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد
حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء او قيام انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد
الآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم و
الحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره
ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه
وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي
بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة صلى الله عليه وسلم ورضي
عن اصحابه اجمعين **فصل** في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي
البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل
الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اذا ان
انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون
نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الآخر
ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق الناصع البياض والآدم الاسمر اللون
ومثله في الحديث الآخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل
الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف و
القرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن
والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين هي التي

فی بیاضہا حمرة والضلیع الواسع والشنب رونق الاسنان وماءها وقیل رقتها وتحزیزها کما یوجد فی اسنان الشباب والفلج فرق بین الثنایا ودقیق المسربة خیط الشعر الذی بین الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسک معتدل الخلق یمسک بعضه بعضا مثل قوله فی الحدیث الآخر لم یکن بالمطهم ولا بالمکلثم ای لیس بمسترخی اللحم والمکلثم القصیر الذقن وسواء البطن والصدر ای مستویهما ومشیح الصدر لو صحت هذه اللفظة فتکون من الاقبال وهو احد معانی اشاح ای انه کان بادی الصدر ولم یکن فی صدره قعس وهو تطامن فیه وبه یتضح قوله قبل سواء البطن والصدر ای لیس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظة مسیح بالسین وفتح المیم بمعنی عریض کما وقع فی الروایة الاخری وحکاه ابن درید والکرادیس رؤس العظام وهی مثل قوله فی الحدیث الآخر جلیل المشاش والکتد والمشاش رؤس المناکب والکتد مجمع الکتفین وشثن الکفین والقدمین لحیمهما والزندان عظما الذراعین وسائل الاطراف ای طویل الاصابع وذکر ابن الانباری انه روی سائن الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنی واحد تبدل اللام من النون ان صحت روایة بها واما علی الروایة الاخری وسائر الاطراف فاشارة الی فخامة جوارحه کما وقعت مفصلة فی الحدیث ورحب الراحة ای واسعها وقیل کنی به عن سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصین ای متجافی اخمص القدم وهو الموضع الذی لا تناله الارض من وسط القدم ومسیح القدمین ای املسهما ولهذا قال ینبو عنهما الماء وفی حدیث ابی هریرة خلاف هذا قال فیه اذا وطئ بقدمه وطئ بکلها لیس له اخمص وهذا یوافق معنی قوله مسیح القدمین وبه قالوا سمی المسیح عیسی بن مریم ای لم یکن له اخمص وقیل مسیح لا لحم علیهما وهذا ایضا یخالف قوله شثن القدمین والتقلع رفع الرجل بقوة والتکفؤ المیل الی سنن المشی او قصده والهون الرفق والوقار والذریع الواسع الخطو ای ان مشیه کان یرفع فیه رجلیه بسرعة ویمد خطوه بخلاف مشیة المختال ویقصد سمته وکل

ذلك رفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه
اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل
عنه العامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اي
محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه
ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة
المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن
هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن
فيه الحرم اي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة و
ان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله لا يقبل
الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من
مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر
في وصفه منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بتعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته عليه السلام لا خلاف انه صلوات الله و
سلامه عليه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله عز وجل واعلاهم درجة
واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها
ومنتشرها وحصرنا معاني ما وردنا منها في اثني عشر فصلا

الفصل الاول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد
آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب والبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد
عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال اخبرنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت

الباب الثالث من القسم الاول

ابی بکر بن یعقوب عن آسیا نا احمد بن نو و هو ابن عقیل عن یحیی و هو ابن اسمعیل عن یحیی الحمانی
نا قیس عن الاعمش عن عبایة بن ربعی عن ابن عباس رضی الله عنهما قال قال رسول الله
صلی الله علیه وسلم ان الله قسم الخلق قسمین فجعلنی من خیرهم قسما فذلک قوله عز وجل اصحٰب
الیمین و اصحٰب الشمال فانا من اصحاب الیمین و انا خیر اصحاب الیمین ثم جعل القسمین اثلاثا
فجعلنی من خیرها ثلثا و ذلک قوله فاصحٰب المیمنة ما اصحٰب المیمنة و اصحٰب المشئمة
ما اصحٰب المشئمة والسّٰبقون السّٰبقون فانا من السابقین وانا خیر السابقین
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنی من خیرها قبیلة وذلک قوله وجعلنٰکم شعوبا وقبآئل
الآیة فانا اتقی ولد آدم واکرمهم علی الله ولا فخر ثم جعل القبائل بیوتا فجعلنی من خیرها
بیتا فذلک قوله انما یرید الله لیذهب عنکم الرجس اهل البیت الآیة وعن ابی
عن ابی هریرة قال قالوا یا رسول الله متی وجبت لک النبوة قال وآدم بین الروح والجسد
وعن واثلة بن الاسقع قال قال علیه السلام ان الله اصطفی من ولد ابراهیم اسمعیل
واصطفی من ولد اسمعیل بنی کنانة واصطفی من بنی کنانة قریشا واصطفی من قریش
بنی هاشم واصطفانی من بنی هاشم ومن حدیث انس انا اکرم ولد آدم علی ربی ولا فخر
وفی حدیث ابن عباس انا اکرم الاولین والآخرین ولا فخر وعن عائشة رضی الله عنها
عنه علیه السلام اتانی جبریل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا
افضل من محمد صلی الله علیه وسلم ولم ار بنی اب افضل من بنی هاشم وعن انس
ان النبی صلی الله علیه وسلم اتی بالبراق لیلة اسری به فاستصعب علیه فقال له جبریل
ابمحمد تفعل هذا فما رکبک احد اکرم علی الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضی الله
عنهما لما خلق الله آدم اهبطنی الی الارض فی صلبه وجعلنی فی صلب نوح فی السفینة
وقذف بی فی النار فی صلب ابراهیم ثم لم یزل ینقلنی فی الاصلاب الکریمة الی الارحام الطاهرة
حتی اخرجنی بین ابوی لم یلتقیا علی سفاح قط والی هذا اشار العباس بن عبد المطلب

عنه فيه يقول نظم

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم	إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأ	رض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي	النور وسبل الرشاد نخترق

وروي عنه عليه الصلوة والسلام أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله أنه صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلوة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت إلى الأحمر والأسود قيل السود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الأمم وقيل الحمر الإنس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر أنه قال صلى الله عليه وسلم إني فرط لكم على الحوض وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي

بعدي اوتيتُ جوامع الكلم وخواتمه وعُلّمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمرو
بُعثتُ بين يدي الساعة ومن رواية ابي وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
سل يا محمد فقلتُ يا ربّ ما اسأل اتخذت ابراهيم خليلا وكلّمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير
من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء و
جعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك
مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة
بشّرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون
الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تُغلب واعطاني النصر والعزة
والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيّب لي ولامتي الغنائم واحلّ لنا كثيرا مما شدّد على
من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه
الصلوة والسلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيتُ وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة
ومعنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين
ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى
يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا
آخر باب المعجزات وعن علي ان لكل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم اربعة عشر
نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس
عن مكة الفيل وسلّط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحلّ لاحد بعدي وانما احلّت لي
ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم وبشارة عيسى
مريم وعن ابن عباس قال ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السموات وعلى الانبياء
صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السموات ومن يقل
منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله
على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
الاية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه عن ابي
ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم وبشر عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى
من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى
بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب
مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني وقلبي وقال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني
ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني
بذلك الثلج حتى انقياه وقال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من
نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده
على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل عليه السلام قال قلب وكيع اي شديد
فيه عينان تنظران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته
فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف
من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته كلها لوزنها قال
في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب
انك لم ترع ولو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك

على الله ان الله معك وملائكته قال فى حديث ابى ذر فما هو الا ان وليا عنى فكانما ارى
الامر معاينة وحكى ابو محمد المكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما ان ادم عند معصيته قال
اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى ويروى تقبل توبتى فقال الله تعالى له من اين عرفت محمدا
قال رايت فى كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدى
ورسولى فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل
قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وفى رواية الاجرى فقال ادم لما خلقتنى
رفعت راسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه
ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى انه
لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر
ويروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها محمد
او احمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضى عن ابى الحمراء قال
قال عليه الصلوة والسلام لما اسرى بى الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول
الله ايدته بعلى وفى التفسير عن ابن عباس فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح
من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك
عجبا لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى
وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب انى انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب
من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد تقى مصلح
وسيد امين وذكر السمنطارى انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا ولد مكتوب على
احد جنبيه لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا
احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه
اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه

عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة نا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل با

من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما يستطيع احد من خلق الله ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فذلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها

كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه
جوّد ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء فلم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد خلط
فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء
الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي قبل الوحي وقد قال شريك
في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من
رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان
عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجوّد في
القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه
وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى عن ابن شهاب عن انس قال كان
ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك
بن صعصعة وفيه تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت
عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها
في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا
والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة
وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام

بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة
من الانبياء فحانت الصلوة فامّمتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلّم عليه فالتفت
فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة
فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبرائيل من هذا الذي معك قال هذا محمد رسول
الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حيّاه الله من اخ وخليفة فنعم
الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهو
ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى عليه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله
الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي القرآن فيه تبيان كل شيء
وجعل امتي خير امة اخرجت للناس وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم
الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال
ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم
وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما
يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل
لي هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة
الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان

ملكًا عظيمًا وتسخيرًا الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكًا لا ينبغي لاحد من بعده وعلّمت عيسى التوراة و
الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن لها عليهما
سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبًا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك
الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى
يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا واعطيتك سبعًا
من المثاني ولم اعطها نبيًا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيًا قبلك وجعلتك فاتحًا وخاتمًا وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثًا أعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا
من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة
جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به
فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي
عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين
كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى
فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت
جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم واذا دون
الحجاب رفرف الدر والياقوت فاوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله
من محمد فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من
الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب

الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه
لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله
عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين
رواية اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي
رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على
ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب اذا خرج ملك من الحجاب يجب ان
يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه و
عظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي
خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب
لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة
وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم آياته او مبادي حقائق معارفه مما هو اعلم
كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره
انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء الحجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول
بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى راه والله اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان الاسراء

بروحه او جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا
منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور
عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحاق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم
وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق
وهذا قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة
البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد
والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول
الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء
بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبي محمد به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس
ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله
ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء
الله انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار
ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وفي
حال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر
وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه

فيه ولا ارتاب به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن
ذلك منه مرة وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث
من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره وذكر
مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول
محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلاة ومراجعته
مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء
إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى
وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله
عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه
فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فأخذ بعضدي
فجرني إلى باب المسجد فإذا أنا بدابة وذكر خبر البراق وعن أم هانئ ما أسري برسول الله صلى
الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر
أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد
صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه
ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في أنه بجسمه وعن أبي بكر من رواية
شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله
البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى وعن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت
الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير
مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا
بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي

ثم رجع بي وعن انس اُتيت فانطلق بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة لقد رايتني
في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله
قط فرفعه الله لي انظر اليه وغيره ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في حديث الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جنبها

فصل في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا
قوله سبحان الذي اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها
رؤية عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى
مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد
اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس
الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث
اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ
قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم
وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في المسجد
الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل
عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا
في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه
من مشاهدة الملأ الاعلى وما راى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية
الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه
ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد
مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلوته بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسراء

...ووجه رائع وصواب يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقوي به
قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه
بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان
فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك
عن انس وهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه
السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث
فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن
غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي
كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول
عائشة ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجه ولا
في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء
كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة
في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام
والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة
دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما
وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة بالثابت والاحاديث الاخر
اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عائشة ما
فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه
صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما
لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل

على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما
طغى فقد اضاف الامر الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما راى لم يوهم
القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه **فصل**
واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة
حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله
بن عتاب الفقيه قالا نا القاضي يونس بن مغيث نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم
بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا عبد الله بن علي نا محمد بن آدم نا وكيع عن ابن ابي خالد
عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المؤمنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف
شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب
ثم قرأت لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن
ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا و
امتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه
بعينه وروى عطاء عنه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفؤاده مرتين وذكر ابن
اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه
راى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم
بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه
نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه
محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية
عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن
بنو هاشم فنقول ان محمدا قد راى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله
قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر

في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب
القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته
بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيما يختصم الملاء الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق
ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى
بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان سال ابا هريرة
هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن
عباس بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه
بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول راه و
لا لم يره وقد اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي
عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن
احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء في قوله الم نشرح لك صدرك قال
شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري
رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه راى الله ببصره وعيني راسه وقال كل اية اوتيها
نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا عليه السلام وخص من بينهم بتفضيل
الرؤية ووقف بعض مشائخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكن جائز ان يكون
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا
جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سوال موسى عليه السلام
لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسال الا جائزا غير مستحيل
ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله لن تراني
اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب الله له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت

وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة
لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الآية و
اذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها
على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه
الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون
وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني
الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص على الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث
تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك
اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر
يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين
ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة
غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر
ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت
نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا
كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رأى الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه
دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله سبحانه وتعالى من شاء
من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى
ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله
اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه ان موسى عليه السلام

راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول و قال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض المفسرين فى الجبل انه راه وبروية الجبل له استدل من قال بروية محمد نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية فى الجواز اذ ليس فى الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتى النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبى صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابى ذر فى تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابى ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروى نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روى نورانى اراه وفى حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الروية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن روية الله تعالى والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اى كيف اراه مع حجاب النور المغشى للبصر وهذا مثل ما فى الحديث الاخر لم اره بعينى ولكن رايته بقلبى مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب وكيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين فى الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى يرده والله تعالى الموفق

فصل واما ما ورد فى هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذاذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى الله تعالى اليه بلا واسطة ونحوه

عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وحكى النقاش عن ابن عباس في قصة
الاسراء عنه عليه السلام في قوله دنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسراء
نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال
الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم
يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه
في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث
الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية فذكر فيه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات
الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه
وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع
عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى
كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب اكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه
على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى
وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص
من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما ما ورد في حديث الاسراء
وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما
من الاخر ومن السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه و

وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد فى القرب وقيل هما بمعنى واحد اى قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب دنى من محمد فتدلى اليه اى امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال
دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته
وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه قال فارقني جبريل فانقطعت عني الاصوات وسمعت
كلام ربي وعن انس فى الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة و
ذكر حديث الاسرا وعن محمد بن كعب هو محمد دنى محمد من ربه فكان قاب قوسين وقال
جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله
لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب
جبريل عن دنوه ودنى محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى
ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان ما وقع
من اضافة الدنو والقرب هنا من الله والى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل هو
كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة عظيم
منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته و
من الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول فى قوله ينزل ربنا الى
سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه
بنفسه دنى جعل ثم مسافة بل كلما دنى بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن ادراك حقيقته
اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى
جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على
الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار

الترقي وانافة المنزلة والمرتبة من الله وتأول فيه ما تأول في قوله من تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قربه بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المامول **فصل** في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا
القاضي ابو علي قال نا ابو الفضل وابو الحسين قالا نا ابو يعلى نا السنجي نا ابن محبوب
نا الترمذي نا الحسين بن يزيد الكوفي نا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع
بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي
ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا
مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف
خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش
ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي يومئذ آدم فمن سواه
الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن
عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا
وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك
يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع
ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيامة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى

فيكم يوم القيامة ثم قال انهما في امتي يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني
من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه
نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة
ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره اذ لجأ الناس اليه في
ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا
منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك
في الدنيا وكذلك لجأ الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرة دون دعوى
وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول
الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماءه ابيض من الورق
وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال
طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب
والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن
عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن
اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن
جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء
بنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم **فصل** في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت
بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله انا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد قالت نا ابو الهيثم وحدثنا

لحسين بن شريك فيما اجازنيه ثنا القاضي ابو الوليد ثنا عبد بن احمد ثنا ابو الهيثم ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح
ثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله
بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابرهيم من خلقه خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى
كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم
فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا
حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قول الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن **فصل**

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل
الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص
واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاصطفاء وسمي ابراهيم خليل الله
لانه والى فيه وعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل
اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه قصر
حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي

توجب الاستتار صيانة للاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والاتر فيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة مقام اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفى الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسراره الهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربى فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا فى حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهى درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال فى الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ولا ينبغى ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله تعالى

والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ولهذا عبّر بعضهم عن الخلة بقوله **شعر**

قد تخللت مسلك الروح مني ۞ وبذا سُمّي الخليل خليلا ۞ فاذا ما نطقت كنت حديثي ۞ واذا ما سكت كنت الغليلا ۞

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قُلْ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعّدهم على التولي عنه بقوله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده من ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ والحبيب يصل به من قوله فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ الآية والخليل قال وَلَا تُخْزِنِي والحبيب قيل له يَوْمَ لَا يُخْزِي اللّٰهُ النَّبِيَّ فابتدى بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حَسْبِيَ اللّٰهُ والحبيب قيل له يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّٰهُ والخليل قال وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ والحبيب قيل له وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ اعطي بلا سؤال والخليل قال وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ والحبيب قيل له إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا **اخبرنا** الشيخ ابو علي

الغساني الجياني فيما كتب الي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد
الاصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد قالا نا محمد بن يوسف قال نا محمد بن اسمعيل ثنا اسمعيل بن
ابان ثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة
جثى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة
الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا فقال هي
الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا
وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك
المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ
يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه انه قيامه عن يمين العرش مقاما
لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام
الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام
المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى عنه عليه
السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها
اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا رد
عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن
ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم
دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوليني شفاعة يوم القيامة
فيهم ففعل قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك

لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي
ذكره الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من
النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون
آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن
ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد
الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج
يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده
وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيامة وقال قتادة كان اهل العلم يرون ان المقام
المحمود شفاعته يوم القيامة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة مذهب السلف
من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين بذلك وجاء تفسيره في صحيح الاخبار عنه عليه السلام وجاءت
مقالات في تفسيره شاذة عن بعض السلف يجب ان لا يثبت اذ لم يصحبها صحيح اثر ولا سديد نظر ولو صحت لكان لها
تأويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم وصحاح الآثار يرده ويجب ان لا يلتفت اليهم اذ لم
يأت في كتاب ولا سنة ولا يعتمد على المقال امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما
دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون
لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عن ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم ابو البشر
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا
عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون
انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال وفي رواية انس ويذكر خطيئته

التي اصاب سوآة ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت له دعوة دعا بها على قومه اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كذبات نفسي نفسي لست لها ولكن
عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا فيأتون موسى فيقول لست لها
ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي لكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول
لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول انا لها فانطلق فاستأذن
على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه
فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه
على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب
امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء
الناس فيما سوى ذلك من الابواب لم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم
اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول
يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان
فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه
مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان
في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي
ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله
الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من
النار من قال لا اله الا الله وفي رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة
فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي من وجب عليه الخلود وعن ابي بكر
وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة و

الرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع
فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله
عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث
وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس عنه عليه السلام
توضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي
منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي
ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد
ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس
يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر
فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى
فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع باختلاف
الفاظ هذه الآثار ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعات
الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس
والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع
الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن
فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن
وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال
لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل

نبي دعوة يدعو بها وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم وبلغ
فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقال
محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيبت وانا اريد ان اؤخر دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية
ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها
ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن
امته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا **فصل** في تفضيله في الجنة بالكوثر والوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي عليهما
قالا نا ابو علي الغساني نا النمري نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا محمد بن سلمة
نا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن
بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله
عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من
عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه
قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على
الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري

ولم يُسْقَ منه ابداً ومن لم يشرب منه لم يرو ابداً ... ولم يظمأ بعده ابداً ... ولم يُسق منه ... ولا يُسقيه منها شيئاً عليه حوض من ورد عليها اشرب وذكر حديث الحوض نحوه عن ابن عباس وعن ابن

عباس ايضاً قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في

الجنة من الخير الذي اعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر

نهر في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال

الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له

من الازواج والخدم **فصل** فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثار واجماع

الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل

كقوله فيما حدثناه الاسدي قال نا السمرقندي نا الفارسي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم

حدثني ابن مثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة قال سمعت ابا العالية يقول حدثني

ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي

لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة

انه قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث

ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار

وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي عليه السلام

فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى وذكر الحديث وفيه

ولا اقول ان احداً افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس

بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديث

الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم عليه السلام فاعلم ان للعلماء

في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه

سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب

وكذلك قوله لا اقول ان احداً افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر

كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قال عليه السلام على طريق التواضع ونفي التكبر و
العجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي
الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه
بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة
اذ قال تعالى عنه اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن
لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان
الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم ومنهم من رفع
مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات
ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال
بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون
اياته ومعجزاته اظهر واشهر وتكون امته ازكى واكثر ويكون في ذاته افضل واظهر
وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام
او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ
صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته
او قدح في اصطفائه او حط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه عليه السلام
على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى
القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير

من يونس لاجل ما حكى الله من قصته فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم
تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد فى القسم الثالث من هذا بيانا ان شاء الله تعالى
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض ان شاء الله تعالى فصل
فى اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته صلى الله عليه وسلم حدثنا
ابو عمران موسى ابن ابى تليد الفقيه قال نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم
بن اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد
وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب
وقد سماه الله تعالى فى كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه
فطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد
ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد
واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة
ليتم له كمال الحمد ويتشهر فى تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما
محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من
المحامد كما قال عليه الصلوة والسلام ما لم يعط غيره وسمى الله امته فى كتب انبياءه
بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه
وبدائع اياته فن اخر هو ان الله تعالى جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه
اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به
احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك
وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده
عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم

بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن
الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن
مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال اول من
تسمى محمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به
ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى
تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي
له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة
كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي
محيت به سيئات من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على عقبي
زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب
غيره من الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفي الصحيح وانا العاقب
الذي ليس بعدي نبي وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل
على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى
قوله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسماء
وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر
يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره
لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الكامل الجامع

كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه
بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في
كتب الانبياء وقال داود عليه السلام اللهم
ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه
عليه السلام لي في القران سبعة اسماء انا محمد وانا احمد ويس وطه والمدثر
والمزمل وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم هي ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر
وعاقب وماحٍ وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا
نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة ويروى
نبي المرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفي معنى العاقب وقيل المتبع
للنبيين واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعلمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رءوف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة
مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا
بعثه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما
مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى
عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة
ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث
به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث
ابي موسى وفيه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه انه
عليه السلام قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا
اسم هو في اهل بيته عليه الصلوة والسلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام

وسماه في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والأمين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الأمي وداعي إلى الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن أسمائه عليه السلام في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الإنجيل وقال ثعلب البارقليط هو الذي يفرق بين الحق والباطل ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا صلى الله عليه وسلم ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في التوراة أحيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن وأما

التابع فالمراد به اليمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب الى ثم تريقات العرب واوصافه والتعا
وسمائه فى الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة
ابا القاسم وروى عن انس انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل فقال له السلام عليك
يا ابا ابراهيم **فصل** فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه
به من صفاته العلى قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه ما احرى هذا الفصل بفصول
الباب الاول لانخراطه فى سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح
الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا
عند الخوض فى الفصل الذى قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله
تعالى خص كثيرا من الانبياء بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسمية اسحاق و
اسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوح بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم و
قوى ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك
الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا عليه السلام بان حلاه منها
فى كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر
واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف
فصلين وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علمنا
منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد و
معناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه
ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود و
كذا وقع اسمه فى زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى
نحو من هذا حسان رضى الله عنه بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش
محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه فى

كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق
الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين امره والهيته بان وابان بمعنى و
يكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك
فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل انى انا النذير المبين وقال
قال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن
ومعناه ههنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين
امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن
اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض بالانوار
ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا وسمى بذلك لوضوح
امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه شهيدا
وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى
الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه كثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل
العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله تعالى كريما بقوله
انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه الصلوة والسلام انا اكرم
ولد ادم ومعانى الاسم صحيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى العظيم
ومعناه الجليل الشان الذى كل شئ دونه وقال فى النبى عليه السلام وانك لعلى
خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التوراة عن اسمعيل عليه السلام وسيلد عظيما
لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار
ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى

عليه وسلم فى كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه فى حق النبى عليه السلام اما لاصلاحه الامة بالهداية
والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر ولعظيم خطره ونفى عنه فى
القرآن جبرية التكبر التى لا يليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى
الخبير ومعناه المطلع بكنه الشئ العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن
فاسئل به خبيرا قال القاضى بكر بن العلاء المامور بالسوال غير النبى صلى الله
عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبى عليه السلام وقال غيره بل السائل النبى صلى الله
عليه وسلم والمسئول الله تعالى فالنبى صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين
قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر
لامته بما اذن له فى اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده
او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبدئ النصر والفتح وسمى الله تعالى
نبيه محمدا عليه السلام بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس
عن ابى العاليه وغيره عن ابى هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا
وخاتما وفيه من قوله عليه الصلوة والسلام فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه و
رفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او
المبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم فى الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام
كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث ومن اسمائه تعالى فى الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثنى على المطيعين ووصف بذلك نبيه

نوحاً فقال إنه كان عبداً شكوراً وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه
فقال أفلا أكون عبداً شكوراً اى معترفاً بنعمه في حاملاً بقدر ذلك مثنياً عليه مجتهداً
نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أسمائه تعالى العليم
والعالم العلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه
بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون ومن أسمائه تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق للأشياء
قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر وقال عليه السلام
كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمداً عليه السلام وقد أشار إلى نحو
منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون
وقوله أنا أول من تنشق عنه الأرض وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع
وخاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة
المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش
مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما السلام ومن أسمائه تعالى الصادق في الحديث
المأثور وورد في الحديث أيضاً اسمه عليه السلام بالصادق والمصدوق ومن أسمائه
تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعالى إنما وليكم الله ورسوله
وقال عليه السلام أنا ولي كل مؤمن وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين الآية وقال
عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح
وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه عليه السلام في القرآن والتوراة وأمره بالعفو
فقال خذ العفو وأمر بالعرف وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن
قوله تعالى خذ العفو فقال أن تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والإنجيل في

الحدايث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب لكن يعفو ويصفح ومن
اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء
وقال ربه تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
واصل الهداية من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي
يعني النبي عليه السلام وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال
فيه وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فالله مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة لغير
ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن والمهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى
المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من
ظلمه والمؤمن في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت
الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين انه اسم من اسمائه تعالى ومعناه
معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم
امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان
عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره
مهيمنا في قوله شعر ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن
بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن
اسمائه تعالى القدوس ومعناه المقدس عن النقائص المطهر من سمات
الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس
وروح القدس وقد وقع في كتب الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس اي المطهر

من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الذي يطهره
من الذنوب ويبرئه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات
الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية و
من اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره و
قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اى الامتناع وجلالة القدر وقد
وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقال الله تعالى ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله مبشرا ونذيرا
اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره
بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل و
اختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله
عز وجل فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلا صفاته لا يشبه
شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان
ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك
عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه و
كفى فى هذا قوله تعالى ليس كمثله شئ ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين
التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات وزاد هذه
النكتة الواسطى رحمه الله تعالى بيانا وهى مقصودنا فقال ليس كذاته ذات و
لا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت

الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان تكون للذات الحديثة صفة
قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضى الله عنهم وقد فسر الامام
ابو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية
تشتمل على جوامع من مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهى بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل
ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه
الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو
محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالى الجوينى من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره
فهو مشبه ومن اطمأن الى النفى المحض فهو معطل وان قطع بموجود واعترف بالعجز
عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذى النون المصرى حقيقة التوحيد
ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل
شئ صنعه ولا علة لصنعه وما تصور فى وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس
محقق والفصل الآخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شئ والثانى تفسير لقوله
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشئ
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفى الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته
وفضله لا رب غيره ولا معبود سواه

الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات

وشرفه به من الخصائص والكرامات قال المؤلف رحمه الله تعالى حسبك المتامل ان يحقق
ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا عليه السلام ولا لطاعن فى معجزاته فنحتاج
الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونذكر شروط المعجز

والتحدي ومعناه وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع وردّه بل الفناه لاهل ملة المبتز
لدعوة المصدق قبل لنبوته ليكون تاكيد الحجة لهم له وسابقة لاعمالهم وليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل
على عظيم قدره عنده به واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع
او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع من مشاهير كتب الائمة واذا تأمل المتأمل المنصف
ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة
كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما
باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته
لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى
البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي نا محمد بن بشار نا عبد الوهاب
الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي
عن زرارة بن ابي اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى
مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله
نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك
هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل
منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم
شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار

الى المدينة فقلنا بعضنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن
البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر
فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يأمركم ان تأكلوا من هذا
التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول
صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي
الأمي انه لا يأمر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه
يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه
في قوله تعالى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ هذا مثل ضربه الله تعالى
لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن
رواحة شعر لو لم تكن فيه آيات مبينة ۔ لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن
ان نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من
برهان ودلالة **فصل** اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على خلق المعرفة في
قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء ودون
واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير
في قوله تعالى وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ وجائز
ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون تلك الواسطة
اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم و
لا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل
على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي
من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
في الذي يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه

مستوفى فى مصنّفات ائمّتنا رحمهم الله تعالى والنبوّة فى لغة من همز ماخوذ من النبأ
وتركا الهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى قد اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبيّه فيكون نبىّ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا بما بعثه الله به ومنبئا
بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهى ما ارتفع
من الارض ومعناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة والوصفان فى حقّه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل
فى اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من
التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير
التبليغ او الزمت الامّة اتباعه واختلف العلماء هل النبى والرسول بمعنى او بمعنيين
فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبىّ الا اذا تمنّى فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون
النبىّ الا رسولا ولا الرسول الا نبيّا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا
فى النبوة التى هى الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة
ذلك وحوز درجتها وافترقا فى زيادة الرسالة التى للرسول وهو الامر
بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين فلو كانا
شيئا واحدا لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبىّ
الى امّة او نبىّ ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع
مبتدأ ومن لم يات به نبىّ غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذى
عليه الجمّاء الغفير ان كل رسول نبىّ وليس كل نبىّ رسولا واوّل الرسل آدم وآخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه عليه السلام ان الانبياء مائة الف
واربعة وعشرون الف نبىّ وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم

فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي صلى الله عليه وسلم
ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي
فاصله الاسراع فلما كان صلى الله عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا و
سميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة
يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان
سبحوا بكرة وعشيا اي اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة
السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم
ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها
وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل
الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن
على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله
كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء
من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك
على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له واعلم
ان المعجزات التي ظهرت على يدي نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا
كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى
عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى

بسورة منه فعجز عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو
آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما نفصله فيما انطوى عليه من
المعجزات ثم معجزاته عليه الصلاة والسلام على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا
متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من
قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله
عليه وسلم في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه
إن شاء الله تعالى قال بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى
على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع
فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه
جرت على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها
من قبل الله وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا
صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم أحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا
وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني
ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من
بين الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد
اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى غيره اتفق في المعنى واجتمعا على
الإتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وأنا أقول صدعا بالحق إن
كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع أما

انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبرت بوجوده ولا يعدل عن ظاهره الا بدليل
وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق
منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها
الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه
الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في
مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية
وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن و
السير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع
كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل
وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية
واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع
مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها
الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم
من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا

القاضي والاستاذ ابي بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي اوجب قول القائل ان هذه
القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله
بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الحديث والسير لم يرتب
في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم
بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد
موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامارة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران في الصلوة للمنفرد والامام و
اجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل
بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة
يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف
هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد
الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى **فصل** في اعجاز القران قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز
كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه و
التئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك
انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم
يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب
ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منها
على البديهة بالعجب ويدلون بها الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد

الحلبة ويتجرون به بين الطعن والضرب ويمتحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم
أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن و
يهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة
والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل
الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة
البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا
من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين
وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر
فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول
وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه
وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل
مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفصح ما كانوا في
هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في الشعر والسجع ارتجالا وأوسع
في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون
صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين
أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله

إن كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا
وقال تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله الآية وقال قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن المفترى أسهل ووضع
الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما
شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم أشد التوبيخ
ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح
أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالافتراء وقولهم إن هذا إلا سحر
يؤثر وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضى بالدنية
كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك
من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم
وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل
ولوا عنه مدبرين وأتوا إليه مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع
المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله
إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا
بشر وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت
لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد

فمخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما
نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد بشهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه
من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين
يقرأ اية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم من احوال
الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّٰهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولٰئِكَ
هُمُ الْفَائِزُونَ وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت
او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ الاية
فجمع الله في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه
منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران
من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته
خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس
من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز
بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ وقوله وَلَوْ تَرَى
اِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ الاية وقوله اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وقوله وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ الاية وقوله فَكُلًّا أَخَذْنَا
بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران
حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف
حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما
زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات
عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة

الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه
ببعض والتيام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه
اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها
ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها **فصل** الوجه الثاني من اعجاز القرآن
صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها
ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته
اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل
حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم
من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن
المغيرة وقرأ عليه القرآن رق له فجاءه ابو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم
احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب
بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو
بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو
بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال
ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر
وانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني
ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم
اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته ولقد سمعت قولا والله ما سمعت

مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث مثله وفي
حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي
انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة و
جاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء
الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون
والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها
او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على
الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها
والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان
الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه
القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم
البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه و
قد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع في قوة
جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح
ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق
عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه
مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه
لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه و
على الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور
البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع و

الاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة
وعلى كل حال فما اتوا فى ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف وإباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك
اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم فالشغل
اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة
على الكلام وقدوة فى المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد
ما عنده فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا فى ذلك خبيئة من بنات شفاههم
ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد
وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما
لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذى اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره
على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض الآية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس فى بضع سنين ودخل الناس الاسلام
افواجا فما مات عليه السلام وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام و
استخلف المؤمنين فى الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق
الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لى الارض فاريت مشارقها و
مغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى فى تغييره وتبديل محكمه من
الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا

على حسنا انه عام فما قدروا على اطعام شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا
تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الاية وقوله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الاية وقوله لن يضروكم الا اذى
الاية فكان كل ذلك ومافيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم
في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
الاية وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله ومن الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله
وما اعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم الاية
ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
اصحابه بأن الله كفاه اياهم وكان المستهزءون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام
ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل** الوجه الرابع ما
انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان
لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في
تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه عليه
الصلاة والسلام امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب
ولا يجهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه عليه السلام
عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع
موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان و

ابنه واشباه ذلك من الانباء والقصص وبدء الخلق وما في التورىة والانجيل
والزبور وصحف ابراهيم وموسى ومما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على
تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن
شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن احد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم
بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم
اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين و
اصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم
من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك
مثلهم في التورىة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن
فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
وكذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده
اياه كاهل نجران وابن صوريا وابن اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك
بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة
حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتورىة فاتلوها ان كنتم صادقين
الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما
جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر
خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
ويعفو عن كثير الآيتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع

فيها ولا اثرة. ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت
بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحاق
الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا
الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه
فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم
يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد
فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد
منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه
وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى
حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله
فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي
كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية
ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل**
ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي
تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى
كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم
له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم

واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه
هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل
الاية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة
وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى
قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه
فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده
على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى الى السجدة
فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله و
لم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
اذناي بمثله قط والله ما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه
وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم
الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التو

والاستغفار فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء
اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه
اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة
ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة
البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع
عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح
بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل
ومنها وجوه ذكرها جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله
وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا
طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى
اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه
من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن
بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل
ولا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته
الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ومنها
جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته
خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب

من كتبهم لا تجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم
ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان يأتوا
ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اولیس الذي خلق السموات والارض بقادر على
ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم وقل يحييها الذي انشأها اول مرة ولو
كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ
والحكم واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب
من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد صرفنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة
خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي الى صراط
مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم
والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك
به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على
كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه لا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين و
الآخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة
حديثة تفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع
القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقل ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا
القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا
بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في
الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول

وذلك انه اخبر بنظم القرآن وحسن رصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره
ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد
وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف
الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة
بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة
الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة
على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى
غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت
قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها
من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من
تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد
في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم
واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء بمثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم
على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا
في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة
وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم
نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله

في إعجاز، وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرناها فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل في انشقاق القمر وحبس** الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر، اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه نا القاضي سراج بن عبد الله نا الاصيلي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا مسدد نا يحيى بن سعيد عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال عليه الصلوة والسلام اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر رواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوهم فسئلوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه قال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه

جبير بن مطعم ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر
مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر
طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان
هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم
رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على
الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع
على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد
دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس في الليل الهدو
والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا
الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشهدونها من انوار ونجوم
طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها واخرج الطحاوي
في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال عليه السلام اللهم انه كان في طاعتك وطاعة
رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد
ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي
لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى

يونس بن بكير في زيادة المغازي بروايته عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم
الاربعاء قال فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد
ولى النهار ولم تجئ فدعا عليه الصلوة والسلام فزيد له في النهار ساعة
وحبست عليه الشمس فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته عليه الصلوة
والسلام قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا و
روى حديث نبع الماء من بين اصابعه عليه السلام جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن
مسعود ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال نا
القاضي عيسى بن سهل نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو عمر بن الفخار نا ابو عيسى نا يحيى
نا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك قال رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه
فأتي النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ
الناس حتى توضؤا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه
ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم
بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد
قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا
واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينا نحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه
فضل ماء فأتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه قالوا ليس
عندنا ماء الا في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء
يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا
كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي
رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث
بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه
وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال
بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اتي باداوة ماء
فقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء
وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين
ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به
لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا
ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له
ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار
كتصديق جميعهم له **فصل** ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعاثه
بمسه ودعوته ما رواه مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم
وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع

في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت بماء كثير
فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم
قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث
البراء وسلمة بن الاكوع وحديثهما اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها
لا تروي خمسين شاة فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على جباها قال البراء واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو منها فبصق فدعا
وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هاتين
الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته
فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة
وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره
فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم انفث فيها ام لا فشرب الناس
حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين
رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل
الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء
وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم
يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاث مائة وفي كتاب مسلم
انه قال لابي قتادة احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها نبأ عظيم وذكر نحوه ومن
ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش
في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان
كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين

ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال عمران و
يخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي
فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع
قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة
فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث
عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن
شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي
ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث
في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه فصل ومن معجزاته
تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا سلمة بن شبيب نا
الحسن بن اعين نا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك
حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من
اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء
الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل
من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين

والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وعن ثابت مثله عن رجل من الأنصار
وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل يبسطها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ
ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الإناء وحديث
أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما
يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم
فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا
حتى تركوه وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة
وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم
فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن
بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن
صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة
إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله
لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة أصابت
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء
الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه
على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش
وعاء إلا ملؤوه وبقي منه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أمرني النبي صلى الله عليه
وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة
فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع وعن

علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام
فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب
وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره
ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة فقدم اليهم
تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم
يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا او اثنين وسبعين
وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وانهم
اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت
وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما
ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت
منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت
القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا آصع فقال اذهب
فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين
الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه
الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد
موته وكان قد بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها كفاف دينهم
فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها
فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل
سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فتعجبوا من ذلك قال ابو هريرة

أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من
التمر في المزود قال فأتني به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع
عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ
ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر
مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر
إلى أن قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من
وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة
تمرة ومنه أيضاً حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فـ
وجد لبناً في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما هذا
اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله
عليه وسلم له أن يسقيهم قال فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر
حتى روي جميعهم قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد
فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك
بالحق ما أجد له مسلكاً فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث
خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيراً
يذبح الشاة فلا تبد عياله عظماً عظماً وأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه
الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا و
أفضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الآجري في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم
علياً فاطمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالاً بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة
ويذبح جزوراً لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة
يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه

وقال كلوا واطعموا من خشيكم وفي حديث انس تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته
وذكر انهم كانوا زهاء ثلاث مائة حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا
فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري
حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى
حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم
من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها
الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر **فصل** في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن
ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي نا احمد بن عمران الاخنسي
نا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى
خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده و
رسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله
عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال
فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد
الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقالت

السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مُرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها
في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فأذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي
الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي
حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطي الوادي فانطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا
كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال
يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى
اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر و
جلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد
افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة فقلت
ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت
ذلك لهن فو الذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فو الذي نفسي
بيده لكأني انظر اليهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر

وجيئتين ايضا وفي رواية اسامة وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين و
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو
ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان
طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال عليه الصلوة والسلام انها
استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من
يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث
الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى فهذا ابن عمر وبريدة وجابر و
ابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن
عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها
عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن
فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته
سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك
معروفة معظمة وذلك حديث انس ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ورآه حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
فقال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم
ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه عليه السلام
لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم
اراه ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي
فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأل

اية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادى كذا فيه شجرة فادع
غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء
ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة على ونحوه عن عمر وقال
فيه ارنى اية لا ابالى من كذبنى بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه عليه الصلاة
والسلام قال لاعرابى ارأيت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد انى رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى وقال
هذا حديث صحيح **فصل** فى قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين
الجذع وهو فى نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من
الصحابة بضعة عشر منهم ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن
عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدرى وبريدة وام سلمة و
المطلب بن ابى وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذى وحديث انس صحيح
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفى رواية انس حتى ارتج المسجد بخواره وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما
رأوا به وفى رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع
يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليه الصلاة والسلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر
وزاد غيره والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر هكذا
فى حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفى بعض الروايات عن سهل
فدفن تحت المنبر او جعلت فى السقف وفى حديث ابى فكان اذا صلى النبى صلى الله
عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابى فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد

زمانا وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخر في
الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه
وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك
ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل
مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال عليه السلام
قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن رضي الله عنه اذا
حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر بن حفص بن عبيد الله
ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب
وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحاق بن ابي طلحة ورواه عن
ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار
عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن
زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال المؤلف
رحمه الله فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم
من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذه العدة يقع العلم لمن اعتنى
بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط نا
المهلب نا ابو القاسم نا ابو الحسن القابسي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا محمد
بن المثنى نا ابو احمد الزبيري نا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود

نا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ
النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا
التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن
سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله عنهما وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام قال اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر
الاسود وعن عائشة لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب و
حوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاه جبرائيل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منها عليه السلام فسبح وعن انس صعد النبي
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي
وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد فيه وعلي وطلحة والزبير و
قال فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة
من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن
زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له
ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء
الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما
قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة

الا رجل بالرصاص في حجارة فلما دخل عليه الصلوة والسلام المسجد عام الفتح جعل يشير
بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم
الا وقع لقفاه ولا لقفا صنم الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم وفي حديث ابن مسعود
وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب
في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه ابي طالب وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج و
جعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر
ساجدا له ولا يسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال
الفيء اليه صلوات الله عليه **فصل** في الايات وضروب الحيوانات حدثنا سراج
بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ نا ابي نا القاضي يونس نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت
بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا ابو العلاء احمد بن عمران نا محمد بن فضيل نا يونس
بن عمرو نا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من
اصحابه فجاءه اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال
الاعرابي واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة فقال من تعبد فقال الذي في السماء عرشه
وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم

الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب هذه القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن

رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم
يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك
امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم
فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر
ابن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد
عليه الجمل فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليه دعاه فوضع مشفره في الارض
وبرك بين يديه فخطمه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي
الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله
عليه وسلم سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم
ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء
وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي
وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد صلى الله عليه وسلم وانها لم تاكل ولم
تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت
النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله تعالى شجرة فنبتت
تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث
آخر ان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه
احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي عليه الصلاة والسلام يسمع كلامهم فانصرفوا

وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او
سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه
وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت
نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة
قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه
مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد
فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على
الطريق واخذه عليه الصلاة والسلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه
ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن
حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور الصحابة فيضرب عليهم
الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى الحمار في بئر
جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك تملكها
فوجدها قد انطلقت وعن ابن فورك وخبره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان ثنايا حاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلوٰة في
بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلوتنا وجعله قبلته فما حرك
عضوا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح
كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد
جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة رضي الله عنهم اجمعين

فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة عليه
السلام حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقرائتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد
بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا نا
ابو علي الحافظ نا ابو عمر الحافظ نا ابو زيد عبد الرحمن نا احمد بن سعيد نا ابن
الاعرابي نا ابو داود نا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم
فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت
قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال
فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان
الله ليسلطك على ذلك فقالوا الا نقتلها قال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من
رواية غيره قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به
هذه الذراع قال فلم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة
وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن قالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن
اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات

رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري وحكى
ابن اسحاق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة
وانس وجابر وفي رواية ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك
قد اختلف في قتله الذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وقد روى الحديث
البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا
اسم الله فلم يضر احدا منا قال المؤلف رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة
اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب
فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة او الشجرة او الحجر وحروف واصوات
يحدثها الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب
الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله تعالى واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها
اولا ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل
الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها
فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام
النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر المتكلمين العرق في احالة وجود الكلام
اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف
والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها
حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله
والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية

شيئاً من ذلك فدل على سقوط دعواه وسر انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق ورو
وكيع رضي عن معرض بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي قد شب لم يتكلم قط
فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب اليماني عن النبي صلى الله عليه
وسلم عجايب بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة
اسم راوية فقال له عليه السلام صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم
بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع
وعن الحسن ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا
في بطن سمرة بالوادي وناداها باسمها يا فلانة احيي باذن الله فخرجت وهي تقول
لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما فقا
لت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيراً لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار توفي و
له ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني فقلنا نعم قالت اللهم ان كنت
تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان يعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه
المصيبة فما برحنا ان كشفنا الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن
عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان
البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا
في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله
يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتاً كما كان فسبحان
القدير لا اله الا هو وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم تسليما فصل

في ابراء المرضى وذوي العاهات حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته
على غيره قال نا ابو اسحاق الحبال قال نا ابو محمد بن النحاس نا ابو الورد عن البرقي عن ابن هشام
عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق نا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم
بقضية احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه واحدّهما وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن
قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في
يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا
رسول الله ادع الله ان يكشف عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل
اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف
عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي عن ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض
فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على
شفا فشربها فشفاه الله تعالى وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك ان اباه
ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه
فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرئ وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت
وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت
وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى

على ابن ابى طالب فجعل يدعو فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه
برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل
يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن
روايته ايضا ان حبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
واتته امراة من خثعم معها صبى به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها
اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن
عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو
الاسود فشفى وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له
وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت فى كف شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم
يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء
فقالت انما اريد من الذى فى فيك فناولها ما فى فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسال
شيئا فيمنعه فلما استقر فى جوفها القى عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء
منها صلى الله على سيدنا محمد واله وسلم **فصل** فى اجابة دعائه عليه السلام وهذا
باب واسع جدا واجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر
على الجملة ومعلوم ضرورة وقد جاء فى حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابى
بقراءتى عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسى نا ابو زيد المروزى نا محمد
بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبد الله بن ابى الاسود نا حرمى نا شعبة عن قتادة
عن انس قال قالت امى ام سليم يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر

ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالى لكثير وانّ
ولدى وولد ولدى ليعادّون اليوم نحو المائة وفى رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش
ما اصبتُ ولقد دفنت بيدى هاتين مائة من ولدى لا اقول سقطا ولا ولد ولدٍ ومنه دعاؤه
لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوتُ ان اصيب تحته
ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤس حتى مجلت فيه الايدى واخذت
كلّ زوجة ثمانين الفا وكنّ اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها
فى مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية فى حياته و
عوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدّق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه
تحمل من كل شىء فتصدّق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين
فى البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابى وقّاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا
أستجيب له ودعا بعزّ الاسلام بعمر او بابى جهل فاستجيب له فى عمر وقال ابن مسعود مازلنا
اعزّة منذ اسلم عمر واصاب الناس فى بعض مغازيه عطش فساله عمر الدعاء فدعا
فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا فى الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر
فدعا فصحوا وقال لابى قتادة افلح وجهك اللهم بارك فى شعره وبشره فمات وهو ابن
سبعين سنة وكانه ابن خمسة عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت
له سن وفى رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش
عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلّمه التاويل
فسمّى بعد الحبر وترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه فما
اشترى شيا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله
لعروة ابن ابى الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا
وقال البخارى فى حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروى مثل هذا لغرقدة ايضا

وندّت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار حتى ردها عليه ودعا لأم ابي هريرة فاسلمت ودعا
لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء
ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل
بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اني اخاف ان يقولوا
مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا
حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم
يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلوة
ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال
لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد وقال لامرأة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله
بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث
والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابي العاصي وكان يختلج
بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اي فرآه فقال كذلك فكن فلم يزل يختلج الى ان
مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته
مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي وجحد رجل بيع
فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى
الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية
برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به والله عز وجل اعلم فصل في
كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان فيما لمسه او باشره صلعم حدثنا احمد بن محمد نا ابو
ذر الهروي اجازة و نا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا نا ابو الوليد القاضي نا ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا

نا الفربري نا البخاري نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل
المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به
قطاف وقال غيره يبطئ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جملا
جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك لفرس لجعيل الاشجعي
خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا
وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره
عليه الصلوة والسلام في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي
الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى تستشفي بها ونا القاضي ابو علي عن شيخ ابي القاسم
بن المامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها
الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على
ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه
عليه السلام في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر عليه الصلوة والسلام على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان و
ماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه
فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا
فسكتا وكانت لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها عليه
السلام ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم
وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان عليه
الصلوة والسلام يتفل في افواه الصبيان المراضيع فيجزئهم ريقه الى الليل ومن ذلك
بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على

ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام عليه الصلوة
والسلام فغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا الواحدة فقلعها
النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة
فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة
الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي
عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها
اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة ابن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة
مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا
فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء
له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال
اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته عليه السلام في درور الشياه الحوائل باللبن
الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته و
شارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به
لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات
وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد
ومدلوك وكان يوجد لعتبة ابن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه

ومسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له
شرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك بن مائة سنة ورأ
ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروي
مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة
بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على راس حنظلة بن
حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع
على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة
من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس
صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره وروى مثله في خبر مطلب بن قبالة
وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤوا واتاه رجل به ادرة فامره
ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرئ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس والمس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح
منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه
فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ان يبسط ثوبه و
غرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا الباب كثير وضرب
صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب
واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة
ففرع الرجال طولا وتماما فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على
الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر نا

ابو علي التستري نا ابو عمر الهاشمي نا اللؤلؤي نا ابو داود نا عثمان بن ابي شيبة نا جرير
عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما
ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل
اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري أنسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به
صلى الله عليه وسلم اصحابه مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله
وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يد علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا
ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف
والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه
صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير
منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم
بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس
حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات
قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم
وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فاري
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المش

والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم
تملكه أمة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي
بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه
وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس
واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج
ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته
وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من رأسه و
انه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان ممن عاداه الخوارج والناصبة
وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان
الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح
كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت
على عائشة رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية
فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس
وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم
ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسال عن بعض فكان
سمرة اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق بها وقال في حنظلة الغسيل
سلوا زوجته عنه فاني رأيت الملائكة تغسله فسالوها فقالت انه خرج جنبا واعجله
الحال عن الغسل قال ابو سعيد ورأينا رأسه تقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال

هذا الامر فی قریش ما اقاموا الدین وقال یکون فی ثقیف کذاب ومبیر فرأوهما الحجاج والمختار
وان مسیلمة یعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده
ثلاثون ثم تکون ملکا فکانت کذلک بمدة الحسن بن علی وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم
یکون رحمة وخلافة ثم یکون ملکا عضوضا ثم یکون عتوا وجبروتا وفسادا فی الامة و
اخبر بشأن اویس القرنی وبامراء یؤخرون الصلوة عن وقتها وسیکون فی امته ثلاثون
کذابا فیهم اربع نسوة وفی حدیث آخر ثلاثون دجالا کذابا آخرهم الدجال الکذاب کلهم
یکذب علی الله ورسوله وقال یوشک ان یکثر فیکم العجم یأکلون فیئکم ویضربون رقابکم
ولا تقوم الساعة حتی یسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خیرکم قرنی ثم الذین
یلونهم ثم الذین یلونهم ثم یأتی بعد ذلک قوم یشهدون ولا یستشهدون ویخونون
ولا یؤتمنون وینذرون ولا یوفون وقال لا یأتی زمان الا والذی بعده شر منه وقال
هلاک امتی علی یدی اغیلمة من قریش قال ابو هریرة راویه لو شئت سمیتهم لکم بنو فلان
وبنو فلان واخبر بظهور القدریة والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار
حتی یکونوا کالملح فی الطعام فلم یزل امرهم یتبدد حتی لم یبق لهم جماعة وانهم سیلقون
بعده اثرة واخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذی فیهم وان سیماهم التحلیق وتری
رعاء الغنم رؤس الناس و [illegible] ربتها وان
قریشا والاحزاب لا یغزونه ابدا وانه هو یغزوهم واخبر بالموتان الذی یکون بعد فتح
بیت المقدس وما وعد من سکنی البصرة وانهم یغزون فی البحر کالملوک علی الاسرة وان
الدین لو کان منوطا بالثریا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ریح فی غزاته فقال
هاجت لموت منافق فلما رجعوا الی المدینة وجدوا ذلک وقال لقوم من جلسائه ضرس
احدکم فی النار اعظم من احد قال ابو هریرة فذهب القوم یعنی ماتوا وبقیت انا ورجل فقتل
مرتدا یوم الیمامة واعلم بالذی غل خرزا من خرز یهودی فوجدت فی رحله وبالذی غل الشملة

ومن ضلت ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة
وبقضية عمير مع صفوان حين سارّه وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما
جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الأمر والسر أسلم وأخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه
غيري وغيرها فأسلم وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وخبر بقتل أمية ابن خلف وأن لحاه أبا سفيان هو صلى الله عليه وسلم
وفي عتبة بن أبي لهب أنه يأكله كلب من كلاب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح الله
به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وأخبر بقتل أهل
مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر
فيروز إذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما تحقق فيروز القصة
أسلم وأخبر أبا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا أخرجت منه
فقال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده و
أخبر أن أسرع أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة وأخبر
بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه
عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك
نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف
بك إذا لبست سواري كسرى فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى
وألبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض
يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه
الأمة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر
في سهيل بن عمرو عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر
يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم فخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال

في الدرس وتحمة لا كيّة أنه شجرة يبيسة كالبقر فوجدت بعد الأسود كلها في حياته وبعد
موته كما قال عليه السلام وكل ما أخبره جلساؤه من سرائرهم وبواطنهم واطلع عليه من
أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى أن كان بعضهم ليقول لصاحبه
اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه بصفة السحر الذي
سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر
ذروان فكان كما قال عليه الصلوة والسلام ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل
الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها
كل اسم لله فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين
كذبوه في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه و
إنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال عليه السلام إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون
ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب
يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن أشراط الساعة وآية حلولها وذكر
النشر والحشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل
أن يكون ديوانا مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي
ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة رحمهم الله تعالى **فصل** في عصمة الله
تعالى له من الناس وكفايته من آذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى
واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا
أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال إنا كفيناك المستهزئين وقال وإذ يمكر بك الذين
كفروا الآية حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن
عبد الله العامري قالا أخبرنا أبو الحسين الصيرفي قال نا أبو يعلى البغدادي نا أبو علي السنجي
نا أبو العباس المروزي نا أبو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن إبراهيم نا الحارث بن عبيد

عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم يُحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة وقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من
يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال
دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله عليه وسلم عفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت
مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل
من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم وا
شجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع
في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل فيه نزلت يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية
الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به
الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من
زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده وزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا
ذكر انه فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الاية وقيل كان عليه
الصلاة والسلام يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت
يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت النبي صلى الله عليه وسلم

وهو في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر
واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني
انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا
فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت
الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة الى قوله
فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومن ذلك العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على
قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر
التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله تعالى له
من الآيات والعنكبوت التي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم
فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار
فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا
قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر
يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أُتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى
ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له
النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره
النبي صلى الله عليه وسلم الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل

أن قال لهما إني أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم و
في خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما
يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن إسحاق وغيره
أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون إليه ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه
إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد
تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض
لي فحل دونه فما رأيت قط مثله هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
جبريل لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع
إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم
أغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق وغيره في قصته إذ خرج إلى بني قريظة
في أصحابه فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحا
فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل إن قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم الآية في هذه القصة
نزلت وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما
عمرو بن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي
صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتواطأ حيي معهم على قتله فأعلم جبريل النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير معنى
الحديث عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما
صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه
متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه

وابصرت هولا عظيما وخلق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه الصلوة والسلام تلك
الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان
ليطغى الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط بالناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي
النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب
الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة
لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك
واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه
ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه انت فلم يره فعل شيئا
فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن
عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته
بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة
شهر كما قال عليه السلام **فصل** ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته من امور شرائعه وقوانين
دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم عليه السلام الى زمنه وحفظ شرائعهم
وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم
والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة

من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبات علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك
وغيّروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال
الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع
الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل
جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوّبه واستحسنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم
واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا مما لا يعلم ولا يقوم به ولا
ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثاقبة بعض هذا الى الاحتواء على ضروب
العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم
مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله
عليه الصلوة والسلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق و
رؤيا يحدّث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا
المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله
المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه و
كونه موضوعا تكلم به الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي
وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية
وقوله ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل ولد
عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة

وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنبي سؤاله عما اشكلوا فيه من ذلك وقوله
حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها
وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقوله في الحوض
زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف
وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق و
المغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على
اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه عليه الصلوة والسلام كان لا يكتب ولكنه اوتي علم
كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمد بسم الله
الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى
عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم
الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية
انه عليه الصلوة والسلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه
عليه الصلوة والسلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على
بعضه في اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي
حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد
اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من
مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي
لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من
هذه الامور ولا عرف قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما
حصل لهم ذلك بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة

من مجرد علمه صلى الله عليه وسلم ولا تشبث الى الجحد الملحد بشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في
دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة للعيان فان الذي نسبوا
تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن
وظهور ما لا يعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في اسمه وقيل بل كان عليه السلام يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان و
هم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم
وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او
يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء
من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما
منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا
ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به
من اخبار كتبه ولا غاب النبي عليه السلام عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب
فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم
لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل
فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء
ما اتى به من معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر **فصل** و
من خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد
الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية وقال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم الآية

وقال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين وقال وإذ صرفنا إليك نفرا من
الجن الآية حدثنا سفيان العاصي الفقيه بسماعي عليه نا أبو الليث السمرقندي قال نا عبد الغافر
الفارسي نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا أبي نا شعبة عن سليمان
الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة و
ما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة
من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإيمان و
الإسلام ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية وذكر ابن سعد أن
مصعب بن عمير قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك ورأى سعد على يمينه و
على يساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب
ورأى سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم
لها شيء وقد كانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة
جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم و
شبههم برجال الزط وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال بينا نحن جلوس
مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت قال أنا هامة ابن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي
نوحا ومن بعده في حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر
الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانا فجزلها
وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له تلك العزى وقال عليه السلام إن شيطانا

تفلّت البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل** ومن دلائل
نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار
وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة
وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به عن امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود
وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التوراة والانجيل
مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما الثقات ممن اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية
وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة صاحب
بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة ووهب بصرى
واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة
عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب
واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة
على البقاء على الشقا والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر
انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم
وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب
فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف
قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد
قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن

وكليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي
وسعد بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد
من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم
ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من
الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا راسه عندما وضعته
شاخصا ببصره الى السماء وما راته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك
ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء
ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي
ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفته حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها
ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته صلى الله عليه وسلم وما جرى من العجائب
ليلة مولده من ارتجاس ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف
عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا واذا غاب فاكلوا
في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا
دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رأيته صلى الله عليه وسلم شكى جوعا ولا عطشا
صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من
استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة من امور الجاهلية وما خصه الله
من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه
ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال اني
نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة
ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ

خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه
من الرضاعة ومن ذلك انه عليه السلام نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة
فاعشوشب ما حولها وايبنعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فئ الشجرة
اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم كان لا ظل لشخصه في
شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب
الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته
وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه
حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها و
استئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا
عنه القميص عند غسله وروي عن تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على
اصحابه من كراماته وبركاته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا
واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث و
غريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة
ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من معجزات سائر الرسل عليهم السلام بوجهين احدهما
كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على
ذلك فان اردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك
ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض
ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او آية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل آية منه

كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين
والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر
هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة و
سبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ
القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في
نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين من طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا
العدد معجزان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم
الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر
منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب
التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم
الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره
مما اشرنا الى جمل منه تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم
فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان
زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث الله اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن
عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه
من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء
ثم ان الله تعالى بعث محمدا عليه السلام وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة و
الشعر والخبر والكهانة فانزل الله تعالى عليه القران الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة
والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا
في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث

والأسرار والخبيئات الضمائر ثم توجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان
أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب
ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث
الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم
بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزة القرآن
ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه
إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه
بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن كان كل عندها
حقاً وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار عليه السلام بقوله فيما
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحاق و
أبو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن
أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعاً
يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله تعالى وذهب
غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام إلى معنى آخر
من ظهورها بكونها وحياً وكلاماً لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه وأن غيرها من
معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة
حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا السحر
في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر

ولا خطيب ان يكون شاعرا وخطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الاول اختصره
وفي هذا التأويل الثاني يُغمص الحق عليه ولتقضي حجة ثالثة على مذهب من قال بالصرفة وان
المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى لم يقدرهم
ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال
وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين آية للعجز عن
الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى
هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة
في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص
صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي
للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر
الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آية نبوتي ان يمنع الله
القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان
ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور
آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة فهم العرب وذكاء البابها
ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من
القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا
المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة
البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى

أرنا الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب
على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من
آمن ووحده قبل الرسول عليه السلام بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب
الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم
ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم واولادهم
في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا
قدمنا في بيان معجزة نبينا عليه السلام وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها
ان شاء الله تعالى والله المستعان

تم طبع القسم الاول

بتوفيق الملك المتعال ويتلوه طبع القسم الثاني بكرم منا بختم طبعه من انزل على نبيه الكريم
القرآن والسبع المثاني

ط ط ط

هذا

الجزء الثاني

من كتاب الشفا

بتعريف حقوق

المصطفى

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى

وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه

واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة

رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله

فآمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية فالإيمان بالنبي

محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه قال الله تعالى

ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه

بقراءتي عليه انبانا الامام ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابن عمرويه نا ابو سفيان نا ابو الحسين نا امية بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى قال القاضي ابو الفضل والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالته وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم ساله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق بالقلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي لكاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد

والقول ما جرى في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان بقيت حالتان اخريان
بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الايمان القول بالشهادة ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم
الصلوة والسلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب
وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان
يصدق بقلبه ويطول مهلة ويعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره
ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو
عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد
والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح
وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد
يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه غنية فيما
قصدنا ان شاء الله تعالى **فصل** واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما
جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
الرسول وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من
يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال ومن يطع الله والرسول الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل
تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة
الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض

على من ارسله اليه قالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسُئل سهل بن عبد الله
عن شرائع الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول
في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة **حدثنا** محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن
خلف اخبرنا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري عن عبدان اخبرنا عبد الله نا يونس عن الزهري
قال نا ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به و
طاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه الصلوة والسلام
اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه
عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به
كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء
فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق
وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي
دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار
الجنة والداعي محمد عليه السلام فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس **فصل** واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد
قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وقال فآمنوا بالله ورسوله

النبي الامي الاية وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية قوله تسليما اي ينقادوا
لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الاية قال
محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل
وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما تجنح
اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه و
روي عن الحسن ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان
تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله وللرسول طاعته لهما ورضاه بما
امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق
ومن العباد طاعة كما قال القائل: تعصي الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس
بديع * لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع * ويقال محبة العبد
لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه
وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات
الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم
بن جعفر الفقيه قال ابنانا ابو الاصبغ عيسى بن سهل ونا ابو الحسن يونس بن مغيث
الفقيه بقراءتي عليه قالا نا حاتم بن محمد نا ابو حفص الجهني نا ابو بكر الآجري قال نا
ابراهيم بن موسى الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن

سعد ان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في
موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في
حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه الصلوة والسلام لا الفين احدكم
متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال
اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه
عليه السلام انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي و
فهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي
ان يأخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال
الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه والسلم انه قال ان احسن الحديث
كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو
بن العاص قال قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة
او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل في
سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد
امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة
وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هو يا رسول الله
قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيى سنتي فقد احياني

ومن احيانا كان معي عن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث
من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص
من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها
لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع
السنة والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد
الفقيه سماعا عليه قال نا ابو عمر الحافظ قال نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ ووهب بن
مسرة قالا نا محمد بن وضاح قال نا يحيى بن يحيى قال نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من
آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف و
صلوة الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله و
استكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من
خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل
المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم
قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا السنة والفرائض
واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم بشبه القرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن
اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان تراني انهى الناس عنه وتفعله
فقال له لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني
لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت

وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة
السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه
الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية
الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فبينا هي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة
فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحاتت عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في
سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان
اجتهادا واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل نأخذهم بالظنة او نحملهم على البينة وما جرت عليه
السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا
اصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال
الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا
اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورؤي عبد الله بن
عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة و
من أمّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة
الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص
النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير في قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا و
دخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا

بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل

فصل

ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة الاية وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا نا ابو القاسم حاتم بن محمد قال نا ابو الحسن القابسي نا ابو الحسن بن مسرور نا الدباغ نا احمد بن سليمان نا سحنون بن سعيد نا ابو القاسم نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجئ بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه الصلوة والسلام هلك المتنطعون وقال ابوبكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ ٭

الباب الثاني

في لزوم محبته عليه السلام قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم

وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته
ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع الله تعالى من كان
ماله وولده واهله احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى
يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله تعالى حدثنا ابو علي
الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال نا سراج بن عبد الله القاضي
نا ابو محمد الاصيلي نا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا يعقوب
بن ابراهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين وعن ابي هريرة نحوه وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في
جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لا يذوق حلاوة الايمان لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته
عليه الصلوة والسلام حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد
نا ابو الحسن علي بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا
عبدان نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من

كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان
بن قدامة قال هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني
واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروى ان رجلا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء
فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم الاية فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة
رفعك الله تعالى بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة **فصل**
فيما روى عن السلف والائمة من محبتهم للنبي عليه الصلوة والسلام وشوقهم له حدثنا
القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن
عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد
امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رانى باهله وماله ومثله عن ابي ذر وقد تقدم
حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة
في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي
واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروى عن ابي بكر

رضی الله عنه انه قال للنبی صلی الله علیه وسلم والذی بعثك بالحق لاسلام ابی طالب كان اقر
لعینی من اسلامه یعنی اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابی طالب كان اقر لعینك من هلا
ونحوه عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قاله للعباس ان تسلم احب الی من ان یسلم الخطاب
لان ذلك احب الی رسول الله وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها وزوجها واخوها
یوم احد مع رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلی الله علیه وسلم قالوا
خیرا هو بحمد الله كما تحبین قالت ارنیه حتی انظر الیه فلما راته قالت كل مصیبة بعدك
جلل وسئل علی بن ابی طالب رضی الله عنه كیف كان حبكم لرسول الله صلی الله علیه وسلم
قال كان والله احب الینا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد
علی الظماء وعن زید بن اسلم قال خرج عمر لیلة یحرس فرای مصباحا فی بیت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول علی محمد صلوة الابرار ❊ صلی علیه الطیبون الاخیار ❊ قد كنت
قواما بكا بالاسحار ❊ یالیت شعری والمنایا اطوار ❊ هل تجمعنی وحبیبی الدار ❊ تعنی
النبی صلی الله علیه وسلم فجلس عمر یبكی وفی الحكایة طول وروی ان عبد الله بن عمر خدرت
رجله فقیل له اذكر احب الناس الیك یزل عنك فصاح یا محمداه فانتشرت ولما احتضر
بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القی الاحبة محمدا وحزبه وروی ان امرأة
قالت لعائشة رضی الله تعالی عنها اكشفی لی قبر رسول الله صلی الله علیه وسلم فكشفته
لها فبكت حتی ماتت ولما اخرج اهل مكة زید بن الدثنة من الحرم لیقتلوه قال له ابو سفیان
بن حرب انشدك الله یا زید اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك یضرب عنقه وانك فی اهلك
فقال زید والله ما احب ان محمدا الان فی مكانه الذی هو فیه ان تصیبه شوكة وانی جالس
فی اهلی فقال ابو سفیان ما رایت من الناس احدا یحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وعن
ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبی صلی الله علیه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض
زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف بن عمر علی ابن الزبیر

بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله فيما علمت صواماً قواماً تحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن اصحابه اجمعين **فصل** في علامة محبته عليه الصلوٰة والسلام اعلم ان من احب شيئاً آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه اولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية وايثار ما شرعه وحض عليه على هواء نفسه وموافقة شهوته قال الله العظيم والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله تعالى

حدثنا القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا مسلم بن حاتم نا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله تعالى ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئاً اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غداً نلقى الاحبة محمداً وحزبه وقد تقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وكما ذكرنا من قصة خالد بن معدان ومن علا

مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه
صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل محبة له و
شوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببه من ال بيته واصحابه من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من
ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال عليه الصلوة والسلام في الحسن والحسين
اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني
ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال صلى الله
عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
ان ياخذه وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة رضي الله عنها
في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم وفي
حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب
شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال
انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب
الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها
ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله
ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل
امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من
حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه عليه الصلوة والسلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم

وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه
ومنها ان يحب القران الذي اتى به عليه الصلوة والسلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى
قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته والعمل به وتفهمه
ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة
حب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي عليه الصلوة والسلام
حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر
منها الا زادا او بلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسال احد عن نفسه الا القران فان كان
يحب القران فهو يحب الله ورسوله ومن علامات حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان عليه الصلوة والسلام
بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه
به وقد قال عليه الصلوة والسلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع
من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان
كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي
صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال
فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام كانه التفت الى قوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله الاية وقال بعضهم محبة الرسول عليه السلام اعتقاد نصرته والذب عن
سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار
المحبوب وقال اخر المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب
ما يحب ويكره ما يكره وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى

ثم رتب المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له
اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة
اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة
عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم
السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى
يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرى ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك
الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه
فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت الى هذه الاسباب كلها في
حقه عليه الصلوة والسلام فعلمت انه عليه الصلوة والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة
للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب
ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فقد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين
رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه سراجا منيرا ويتلو عليهم
اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا
واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه
على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح و
الكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه الصلوة والسلام مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان و
عمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه
من هلكة او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا

من عادات الخير ازداد بالحب افتتانا اذا كان يحب بالطبع مالك الحسن سيرته او حاكما يرتضي من
طريقته او قاصي بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال الى غاية مراتب
الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صفته عليه الصلاة و
السلام من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة رضي الله
عنهم انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم فصل في وجوب مناصحته
عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله الاية قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر
والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه نا الحسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله
نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة
لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير
للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت
العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به
الصلاح والملائمة ماخوذة من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحاق
الزجاج نحوه فنصيحة الله عز وجل صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته
والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم
له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال
ابو بكر مؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها

ونشر دعوته والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي نصيحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة
الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب
اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين
نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه
والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ
الآية وقال تعالى وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ الآية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام
التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة اهل بيته
واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث
عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات
المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث
احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم وقيل له ما فعل الله
بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم
فتمنيت ان حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك و
غفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم
اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج
عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم
ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد
محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث

في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله وقال يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم الايات الثلاث
وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب الله تعزيره وتوقيره والزم اكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش
تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزاءين من العز ونهى عن التقدم بين
يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب
وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او
غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك
والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم
قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته
انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي
اي لا تسابقوه بالكلام ولا تغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض
ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم
ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم
بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت
في ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان
في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط
عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد خشيت ان اكون هلكت
نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروى ان
ابا بكر لما نزلت الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها ابدا الا كاخي السرار وان
عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
الاية وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون في غير بني
تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك
قد نهيت عن رفع الصوت وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم
وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته
لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ
وقيل غير هذا والله اعلم **فصل** في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام واجلاله و
توقيره حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا نا
احمد بن عمر نا احمد بن الحسن نا محمد بن عيسى نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم نا محمد بن مثنى وابو معن
الرقاشي واسحق بن منصور قالوا نا الضحاك بن مخلد نا حيوة بن شريح نا يزيد بن ابي حبيب

س بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد
احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه اجلالا وما كنت اطيق ان املا
شيء مما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع
احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه
ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا
يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم
واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم
خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر
قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا
في قومه قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد
رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل وعن هذا لما اذنت
قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية
ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا

حدثنا المغيرة كان اصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فأؤخره سنين من هيبته فصل واعلم

ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته

وذلك عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته و

معاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن

متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته و

اجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل

رضي الله عنه وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا

القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما

اجازونيه قالوا انا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث نا ابو الحسن علي بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد

بن الفرج نا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد

قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك

يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوما فقال تعالى لا ترفعوا

اصواتكم فوق صوت النبي ومدح قوما فقال تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله

الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته

حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم

عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى

ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك الاية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم

عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان

اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه فلما رأيت منه ما رأيت اجللته للنبي صلى الله
عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله وكان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت
لما انكرتم علي ما ترونه لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث
ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي
عليه السلام اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد
اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ
القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد
كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه
الدم وقد جف لسانه في فيه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن
عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه
دموع ولقد رأيت الزهري وكان من اهنأ الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه
وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس
قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا
ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله
عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من
الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم **فصل**
في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا

الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن
الدارقطني نا علي بن مبشر نا احمد بن سنان القطان نا يزيد بن هارون نا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو
بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت
العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله تعالى او فوق ذا او ما دون ذا او ما هو
قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال
ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث
فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له
الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال ابو مصعب
كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث
قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان
اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث
او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و
قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل
وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا
على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث على غير وضوء تيمم وكان قتادة
لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله
بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة وهو يتغير لونه ويصفر
ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له
يا ابا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي
كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير
بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي
احق من ادب وذكر ان هشام ابن الغاز سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال
عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب
ان لا يقرأ احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان
الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه
وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين كما حض عليه الصلوة والسلام وسلكه السلف
الصالح رضي الله عنهم اجمعين قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وقال تعالى وازواجه امهاتهم **اخبرنا** الشيخ ابو محمد بن احمد العدل
من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ
ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن اسمعيل نا يحيى هو الحماني
نا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل
وآل عباس وقال عليه الصلوة والسلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه الصلوة والسلام معرفة آل محمد براءة
من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض
العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك
عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا و
حسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه
وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في
علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن
ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس رضي الله عنه والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان
حتى يحبكم لله ورسوله ومن اذى عمي فقد اذاني انما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وكان
يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه
ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال عليه السلام احب الله من احب حسنا وحسينا وقال من
احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة
وقال عليه الصلوة والسلام من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها
وقال عليه الصلوة والسلام لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث رأيت

ابا بكر وحمل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيها بعلي وعلي
يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة
فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة
امه ثم قربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان
نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا
عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى
جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها
وما ترك لها حاجة الا قضاها فارضى الله عنه وارضاه وقدس روحه ورقى رتبته ولما فرض
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف
وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان اباه زيدا كان
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه
صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا رحمه الله تعالى لما ضربه جعفر بن سليمان
ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه فدخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه
ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتانى ابو بكر وعمر وعلى فى حاجة لبدأت بحاجة على قبلهما لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن اخر من السماء الى الارض احب الى من ان اقدمه عليهما
وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه
الساعة فقال أليس قال عليه الصلوة والسلام اذا رأيتم آية فاسجدوا واى آية اعظم من ذهاب
ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبى صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه
وقضى حاجتها فلما توفى وفدت على ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك **فصل**
ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم و
حسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب
عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة فى احد منهم و
ان يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم
اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه الصلوة والسلام اذا ذكر
اصحابى فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه الى آخر السورة وقال والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضى ابو على ثنا
ابو الحسين وابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى ثنا ابو على السنجى ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذى ثنا الحسن
بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر وقال اصحابى
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابى
كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم

فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وقال من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الرحمن ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعن عبد الرحمن بن عوف وابي عبيدة فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس احد باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل

عليه وقال ان كان يبغض عثمان ابغضه الله وقال عليه الصلاة والسلام في الانصار اعفوا عن
مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه
الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان ياخذه
وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيامة و
قال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني
الا من بعيد قال مالك هذا النبي عليه الصلاة والسلام مؤدب الخلق الذي هدانا الله به
وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك
امره الله تعالى وامر النبي بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب الاحبار ليس احد
من اصحاب محمد الا له شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له
يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه و
لم يعز اوامره صلى الله عليه وسلم **فصل** ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه
واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلاة والسلام
او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه
اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره
صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعر النبي صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ورءي ابن عمر
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان
مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطا تربة فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال

له نشأت أعوامك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وفي الصحيح أنه عليه الصلوة والسلام قال في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها و مات قبل الحول وقال عليه الصلوة والسلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

نظم ولما رأينا رسم من لم يدع لنا	فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة	لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين رضي الله عنهم أنه لما أشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا

نظم رفع الحجاب لنا فلاح لناظر	قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا	فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى	فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق لا يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي رضي الله عنه وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة و الروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من

دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل
والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين و
متبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض
مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها وانشد ناظم

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها ... أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ... ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته * قال الله تعالى إن الله وملائكته
يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ٥ قال ابن عباس معناه
إن الله وملائكته يباركون على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له
قال المبرد أصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من
الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم
ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه
وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية صلاة الله
ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي أبو الفضل وقد فرق

النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل على
انهما بمعنيين اما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه
الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا
ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام
عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة
والثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم
الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية **فصل** اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض
على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب
واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله
فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة
له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي
ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض
عليه ان يأتي به مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض
الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب
ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم
من اهل العلم الى ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان
لا تتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب
الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه الصلوة والسلام هو في الصلوة وقالوا
واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري و

الطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى
الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم
يجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته
فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال
ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة
من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير
مستحبة وان تاركها في التشهد الاخير مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة
الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد
عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست
من فرائض الصلوة وقاله محمد بن الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن
المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي ان المذهب فيها
ثلاثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي و
غيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف
الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه في هذه المسئلة جدا وهذا
تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم
كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله
بن الزبير لم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي

صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن نحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان
ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعنه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب
وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي في عمره مرة وضعف
اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وقد روي موقوفا من قول ابن مسعود
قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها
على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وراويه عن ابي جعفر جابر
الجعفي وهو ضعيف **فصل** في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي
ابو علي رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال نا الامام ابو القاسم البلخي نا الفارسي عن ابي القاسم
الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ قال نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن
يزيد المقري نا حيوة بن شريح نا ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة
بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم
فليبدا بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء و
يروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء
والصلاة معلق بين السماء والارض لا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد
وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود
اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا فليبدا بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يسال فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب
شربه او الى الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن
عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته
طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة
والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته
الاسحار واسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين علي لا يرد
وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة علي صعد الدعاء وفي دعاء
ابن عباس رضي الله عنه الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعاءي ثم تبدأ بالصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فتقول اللهم اني اسألك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع
اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما
الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله
على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه
يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام عليه دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم
تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
تحية من عند الله مباركة طيبة قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله

وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله تعالى وبركاته وقيل ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد قال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة قال اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد اذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكر بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عليه الصلوة والسلام كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم في الاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة و من مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول ولحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم بها ايضا الكتب وقال عليه الصلوة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله بسيرة قال حدثتني كريمة بنت محمد بن قالت نا ابو الهيثم نا ابو يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله و بركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد لله صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم قبل هذا قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته سلام

علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد
صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة واحب الى المأموم اذا سلم
امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم **فصل** في كيفية الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر
الفقيه بقراءتي عليه نا القاضي ابو الاصبغ نا ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن واقد وغيره
نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن
سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على
آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل
على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية
ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا نا ابو عبد الله
بن سعدون الفقيه نا ابو بكر المطوعي قال نا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ
عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي
بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال عدهن
في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد

وعلى آل محمد كما رحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل
محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد
كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي
وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي
رواية زيد بن خارجة الانصاري سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال
صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي قال كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك
على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات
الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى ورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت
القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات
الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة
ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له
غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء البانين
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة و
مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله وملئكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك
صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام

المتقين ورسول رب العالمين الشاهد المبشر الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام
وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك
حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
كان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل
اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره
وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن
عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة
والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك
واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤل له الى يوم القيامة وعن ابن مسعود
انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد وما يوجد في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير
وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وتشهد علي رضي الله عنه السلام على
نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب

متبعو ومن تبعه اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا
وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
فجاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي عليه الصلوة والسلام بالمغفرة وفي حديث الصلوة عليه
ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب
ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة
والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالمغفرة والرحمة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم لم يأت
في حديث صحيح وحجته قوله عليه الصلوة والتسليم في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته **فصل** في فضيلة الصلوة والتسليم عليه والدعاء له صلى الله عليه وسلم

حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي يونس بن مغيث نا ابو بكر بن معاوية
نا النسائي نا سويد بن نصر نا عبد الله بن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع
عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة
واحدة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد
الله تعالى وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن
مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط
عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه
الصلوة والسلام ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك مرة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر
درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه الصلوة والسلام لقيت جبريل فقال لي
اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه
من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلوة وعن ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي فقال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلوتي كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبرئيل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال عليه الصلوة والسلام من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل

من عَتق الرقاب صلى الله عليه وسلم **فصل** في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإثمه
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى
ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن
اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل
ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث
اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال
آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فقال يا محمد من سُمّيتَ بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل
علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي اخطئ طريق الجنة وعن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله
عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من
نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه الصلوة والسلام من الجفاء ان
اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر بن عبد الله عنه عليه الصلوة والسلام ما جلس قوم
مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة
وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي
صلى الله عليه وسلم الا كانت عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى ابو عيسى

الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس صلى الله عليه وسلم **فصل** في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي نا الحسين بن محمد نا ابو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلوته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه الصلوة والسلام حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلوتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلوة في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا **فصل** في الاختلاف في الصلوة على غير النبي

صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي ابو الفضل وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على
جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا يجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك لا يجوز ان
يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه الصلوة والسلام وهذا غير معروف من مذهبه و
قد قال مالك في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج
بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه
وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة الصلوة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن مستعملا فيما مضى وقد روى عبد الرزاق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله
بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته الاية وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال
تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على
آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم
صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل آل بيته
وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت
عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي
ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلوته على النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله

عليه الصلوة والسلام لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود او كريدة من مزامير داود وفي حديث
ابي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى الاندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار قال القاضي وفقه الله تعالى والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله
مالك وسفيان رحمهما الله تعالى وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم
وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم ولا يشارك
فيه سواهم كما امر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة و
غيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الاية وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر
الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند
الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه
باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الال والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة
النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك
يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرائني
من شيوخنا والحافظ ابي عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى **فصل** في حكم زيارة قبره عليه الصلوة

والسلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام
سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا الحسين بن جعفر ثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني ثنا القاضي المحاملي ثنا محمد بن عبد الرزاق ثنا
موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره وعن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة
وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله
عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه الصلوة و
السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار
قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا
ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم
ولم يمنع هذا اللفظ في حقه وقال ابو عمران رحمه الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله
عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد
بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته
الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله
عليه الصلوة والسلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة
وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة
والقصد الى الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره

وجلده ولامس يده ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي
فيه عليه وعمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن
ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فتلا هذه الاية ان الله وملئكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز
فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاقرأه مني السلام قال غيره كان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط
لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة
من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر
على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام
على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف ورئي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله
عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والعتبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم اذا خلا المسجد جسوا برمانة المنبر التي على القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون
وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر
وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو

للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ولأبي بكر وعمر كما في حياتهما عمر بن الخطاب وقال
ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله السلام
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك
واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين
قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك
في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتي و
منبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد قبا وقبور الشهداء قال مالك في
كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك
قال محمد واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل عليه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك
من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين قال كان
الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل
ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله عليه وسلم
ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة
إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في
المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء
وقال فيه أيضاً لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر
ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو
المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه
ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة
وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم ورأيت
أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق
بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من
أجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيداً ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن
وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلاً وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل
السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه
وسلم حيث العمود المخلق وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من
التنفل في البيوت والله أعلم فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من
الأدب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب
وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم وعن ابن عباس أنه مسجد قباء حدثنا

هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد
المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود نا مسدد نا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام و
مسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة والتسليم على النبي صلى الله عليه
وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن
انت فقال رجل من ثقيف فقال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه
الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان
ينزه عما يكره قال القاضي ابو الفضل حكى ذلك كله القاضي اسماعيل في مبسوطه في باب
فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد
هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه
عليه الصلوة والسلام صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في
المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة
اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة
في سائر المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد الرسول عليه الصلوة و
السلام افضل من صلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله

عليه وسلم على غيره بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمنا
وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل
مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجى عن الشافعى وحملوا
الاستثناء فى الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة فى المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث
عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابى هريرة وفيه وصلوة فى المسجد
الحرام افضل من الصلوة فى مسجدى هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله فياتى فضل الصلوة
فى المسجد الحرام على هذا على الصلوة فى سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع
قبره افضل بقاع الارض قال القاضى ابو الوليد الباجى الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم
مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوى الى ان هذا التفضيل انما
هو فى صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك فى النافلة ايضا قال وجمعة
خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينة
وغيرها حديثا نحوه وقال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض
الجنة ومثله عن ابى هريرة وابى سعيد وزاد ومنبرى على حوضى فى حديث اخر ومنبرى على ترعة
من ترع الجنة وقال الطبرى فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع
انه روى ما يبينه بين حجرتى ومنبرى والثانى ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم
فى هذا الحديث كما روى بين قبرى ومنبرى قال الطبرى واذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى
الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره فى حجرته وهو بيته وقوله ومنبرى على حوضى قيل
يحتمل ان منبره بعينه الذى كان فى الدنيا وهو اظهر والثانى ان يكون له هناك منبر والثالث
ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب
منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك
وان الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف

والثانی ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها كما قاله الداودي وروى ابن عمرو
جماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها
احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة
رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه عليه الصلوة والسلام انه قال من مات
في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر
بعث من الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع
لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله آمنا
قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من احدث حدثا في الجاهلية ولجأ
اليه وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان
قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار
طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان
من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره و
بشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت
ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه الصلوة والسلام ما من احد يدعو
عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه الصلوة والسلام
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من
الآمنين قال الفقيه القاضي ابو الفضل قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثنا
ابو العباس العذري قال نا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق قال
سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد يقول سمعت ابا بكر محمد بن ادريس يقول سمعت
الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله تعالى في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن بن راشد وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر ان الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وانا ارجو الله تعالى من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله تعالى الموفق للصواب

القسم الثالث

فيما يجب للنبي عليه الصلوة والسلام وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر

ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اى لما كان الا فى صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ
لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان فى الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن فى سنة الله تعالى
ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء
والرسل فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والفناء
والموت ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة
بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية
ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليهم
مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن
جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه الصلوة والسلام لو كنت متخذا من امتى
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام
عيناى ولا ينام قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى ربى ويسقينى فبواطنهم منزهة عن
الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفى بمضمنها كل ذى همة بل الاكثر
يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتى به بعد هذا فى البابين بعون الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل

الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا محمد عليه الصلوة و

السلام وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اعلم ان الطوارئ

من التغيرات والآفات على أجساد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار
كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى
ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز
على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله
تعالى فيما نأتي به من التفاصيل والله المستعان **فصل** في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه
وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله
تعالى وصفاته والإيمان به وبما أوحى الله إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء
عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين
هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه
ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم في
إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء
فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني أن إبراهيم
عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه فيكون
قوله أولم تؤمن أي لم تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث أنه سأل
ربه زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم النظرية والضرورية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال
من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة
ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع
أنه لما احتج على المشركين بأن ربه تعالى يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا

الوجه الخامس قال بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى قوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه اري من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك و ابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فَاِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِيْنَ يَقْرَءُوْنَ الآيتين فاخبرني ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير و الحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك فَاِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله قُلْ يَا اَيُّهَا النَّاسُ اِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِيْنِي وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ الآية والخطاب له والمراد غيره ومثله فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هٰؤُلَاءِ ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِ اللّٰهِ وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قوله اَلرَّحْمٰنُ فَاسْأَلْ بِهٖ خَبِيْرًا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه الصلاة والسلام هو الخبير المسؤل لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك الذي امر غير النبي بسؤال الذين يقرءون الكتاب انما هو فيما قصه الله تعالى من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى وَاسْأَلْ مَنْ اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا

الا ان المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قال القتبي وقيل معناه سلنا
عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبياء
ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السوال فيروى انه قال لا اسأل
قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد
والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل صلوات
الله عليهم وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا
بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله تعالى اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فاسأل تزدد طمانينة
وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت في شك فيما شرفناك وفضلناك به فاسألهم عن
صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من
غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة
التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل
بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم
وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل
وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا
بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء

وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه
الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء
الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون
ذلك قبل لقائه واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب
وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان
ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه الصلوة والسلام لئلا
يفجأه الامر مشافهة ومشاهدة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه
الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال و
ذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة
في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك الآية قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما
صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا
ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك
اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي
فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده
لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة و
اظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه الصلوة والسلام
قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا

وأخشى أن يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الأحاديث إن الأبعد
شاعر أو مجنون وألفاظ يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان كله في ابتداء
أمره وقبل لقاء الملك له وإعلام الله له أنه رسوله فكيف وبعض هذه الألفاظ لا تصح
طرقها وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك
فيما ألقي إليه وقد روى ابن إسحاق عن شيوخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يرقى بمكة من العين قبل أن ينزل عليه فلما أنزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه فقالت
له خديجة أوجه إليك من يرقيك فقال أما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها أمر جبريل
بكشف رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأن الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ليختبر
هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن أبيه
عن عائشة أن ورقة أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك وفي حديث إسماعيل بن أبي حكيم أنها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك
قال نعم فلما جاء جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره وفيه فقالت
ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر وآمنت به فهذا يدل على أنها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة
الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته
ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا إلا من جهة
النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه
من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث
أسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن

عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد عليه ذلك فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل
فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس
عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقوله تعالى في يونس
فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه
مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه
ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد
معناه أفظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من
صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس
والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق
بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد
في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له
يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ارسال يونس عليه السلام ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله تعالى فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويستدل
ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة
فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او رينا وقع في قلبه عليه الصلوة
والسلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء

وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشي القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه
مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر
الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه
وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي
والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في هذا كله في طاعة
ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله تعالى مكانة واعلاهم
درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله
بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها و
شغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى
وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب
ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات
والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة
المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في
حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما اهم خاطره وغم فكره من امر امته عليه الصلوة
والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على
قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه
الصلوة والسلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا
تعريف للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن و
قد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى

وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبداً شكوراً وعلى هذه الوجوه
الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام إنه ليغان على
قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه الصلاة
والسلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله تعالى لنوح فلا تسألن
ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من
قال في آية نبينا عليه الصلاة والسلام لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية
نوح لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة
من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم
بسمات الجاهلين كما قال إني أعظك وليس في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم
عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما
قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد يجوز إباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه
الله أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى
نعمته عليه بإعلامه ذلك بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك
أمر نبينا في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال
الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لأمة محمد أي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول
بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منه بعد النبوة قطعاً فإن قلت فإذا قررت عصمتهم
من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى إذاً وعيد الله لنبينا عليه الصلاة
والسلام على ذلك إن فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك الآية
وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله إذاً لأذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات الآية وقوله لأخذنا منه باليمين وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل

وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه الصلوة والسلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك به ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا حال من اشرك والنبي عليه الصلوة والسلام لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم وما كان من الظالمين **فصل** واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق نور المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا عليه الصلوة والسلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها

بكل ما امكنها ولنقلته مما اختص الله عليه ونقلته الينا الرواة ولم يحك فى شئ من ذلك
تعيير الواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا
لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه فى معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان
يعبد قبل افظع واقطع فى الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان
لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا
عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضى القشيرى على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله فى الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل
خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك
او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد
اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله
وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم فى
الكوكب والقمر والشمس هذا ربى فانه قد قيل كان هذا فى سن الطفولية وابتداء النظر
والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى
انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد
الانكار والمراد افهذا ربى قال الزجاج قوله هذا ربى اى على قولكم كما قال تعالى اين شركائى اى
عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك بالله قط طرفة عين قول الله عز وجل عنه
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لى الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اى من الشرك وقوله واجنبنى وبنى ان
نعبد الاصنام فان قلت فما معنى لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين قيل

اى ان لم يؤيدنى بمعونته اكن مثلكم فى ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو
معصوم فى الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن فى ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضى انهم انما يعودون
الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتى هذه اللفظة فى كلام العرب لما لم يكن له ابتداء بمعنى
الصيرورة كما جاء فى حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول
الشاعر ع فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك
ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذى هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله
الطبرى وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم
ونحوه عن السدى وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها فهداك اليها والضلال
هنا التحير ولهذا كان عليه الصلوة والسلام يخلو بغار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه و
يتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيرى وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه
وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله على بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية
وقيل هدى اى بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك
الى المدينة وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن
محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرأ الحسن بن على ووجدك
ضال فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى و
الضال المحب كما قال تعالى انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا
هنا فى الدين اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها فى ضلال
مبين اى محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك

فهدى ايك السعداء ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وكذلك فى قصة
موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا
بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهرى معناه من الناسين وقد قيل ذلك فى قوله ووجدك
ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدرى
ما الكتاب ولا الايمان والجواب ان السمرقندى قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ
القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى
هو الفرائض والاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها
قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله وان كنت من
قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد
الهروى ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث
الذى يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان
يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى نقوم
خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث
انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان
عثمان وهم فى اسناده والحديث فى الجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه
والمعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الى الاصنام
وقوله فى الحديث الآخر الذى روته ام ايمن حين كلمه عمه وآله فى حضور بعض اعيادهم وعزموا
عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم
تمثل لى رجل ابيض طويل يصيح بى وراءك لا تمسه فما شهد لهم بعد عيدا وقوله فى قصة
بحيرا حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى
سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له

النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله
الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه الصلوة
والسلام وتوفيق الله تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة
في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام **فصل** قال
القاضي ابو الفضل قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان والوحي و
عصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة
علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء
فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق
نبينا عليه الصلوة والسلام في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه
الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق
الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم
عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا
تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم
عن الاخرة هم غافلون كما سيبين هذا ان شاء الله تعالى في الباب الثاني ولكنه لا يقال
انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه
بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم
وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب
معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين
فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان
يكون حصل عقده بذلك عن وحي من الله تعالى فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما
قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل

عليه فيه متى حمل القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه فذلك على قول المحققين وعلى مقتضى
حديث ام سلمة انى انما اقضى بينكم برأيى فيما لم ينزل على فيه وخرج الثقات كقصة اسرى
بدر والاذن المتخلفين على رأى بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا
وصحيحا هذا هو الحق الذى لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطأ فى الاجتهاد
ان لو قام عليه دليل لا على القول بتصويب المجتهدين الذى هو الحق والصواب عندنا و
لا على القول الاخر بان الحق فى طرف واحد لعصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الخطأ فى
الاجتهاد فى الشرعيات ولان القول فى تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبى صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شئ ولم يشرع له
قبل هذا فيما عقد عليه النبى صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر
النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا فشيئا حتى استقر علم جملتها
عنده اما بوحى من الله او اذن له ان يشرع فى ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحى
فى كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه الصلوة والسلام وتقررت
معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفى الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل
بشئ من تفاصيل الشرع الذى امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق
بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى
وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما
لم يعلمه الا بوحى فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه ولا يأخذه فيما اعلم به منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من
علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم انى لا اعلم الا ما علمنى ربى ولقوله
ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر هل اتبعك
على ان تعلمن مما علمت رشدا وقوله عليه الصلوة والسلام اسألك باسمائك الحسنى ما علمت

اليها وسائر اسمائه وقوله اسألك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد
قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء
فيه اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد
والشرع والمعارف والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله
عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس
وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله تعالى قال انا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا
ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا اسمعيل الصفار نا عباس الترقفي نا محمد بن يوسف
نا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل الله به قرينه من الجن وقرينه من
الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره
عن منصور فلا يأمرني الا بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي فاسلم بضم الميم
اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل
عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على كل احد من بني ادم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه و
قد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه
وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلوته فاخذه
النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه الصلوة والسلام
ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني
الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول
اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فرده الله

وأيضاً ففي حديث أبي الدرداء عنه عليه الصلوة والسلام أن عدو الله ابليس جاء
بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه و
لعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقاً يلعب به ولدان اهل المدينة و
كذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره
في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في
الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزاة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية و
مرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره وقد
قال عليه الصلوة والسلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته
حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه الصلوة والسلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون
بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله فاستعذ بالله واعرض عن الجاهلين
ثم قال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم
فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
وقيل ينزغنك يغرينك ويحركك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك
عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل
سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من
التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له
الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة
اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا

لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل و
الوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة
والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم و
النسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله
الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا ان شاء
الله تعالى وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته
عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد
الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه السلام وقوله اني مسني الشيطان بنصب
وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان
ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره وقوله تعالى عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه الصلوة
والسلام حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى في وكزته هذا
من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في
وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين و
قال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب
عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي
انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن
وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان
قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه

أن يذكر شيئاً من شأن يوسف وأيضاً فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على
يوسف ويوشع بوسواس ونزغ وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما
نسياه وأما قوله عليه الصلاة والسلام إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا
وسوسته له بل إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان
أتى بلالاً فلم يزل يهديه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما
كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا قوله إن هذا واد به شيطان تنبيهاً على
سبب النوم عن الصلاة وأما إن جعلناه تنبيهاً على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه و
ارتفاع إشكاله **فصل** وأما قوله عليه الصلاة والسلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة
المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء
منها بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة
القائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي فيما قال اتفاقاً وبإطباق أهل الملة إجماعاً و
أما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني ومن
قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه
وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف
بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع
عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به
عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي
الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا
رسول الله أكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك
كله إلا حقاً ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بياناً فنقول إذا قامت المعجزة على

صدق وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله
تعالى صدق فيما يذكر عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم و
ابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر
بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق
بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحاق **فصل** وقد توجهت
ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ
سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى لترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع
الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد
وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان
ألقاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه
وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل
جاءه فعرض عليه هذه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية و
قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على
مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما المأخذ الاول
فيكفيك ان هذا لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع
به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء و

التفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده
واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين نزلت
عليه السورة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول
إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلام
قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها
فلما بلغ النبي عليه الصلوة والسلام ذلك قال والله ما هكذا نزلت إلى غير ذلك من اختلاف
الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم و
لا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها واهية ضعيفة والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي
بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره
يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه
عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز
الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون و
الإنس والجن هذا توهينه من طريق النقل وأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت
الأمة على عصمته عليه الصلوة والسلام ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة قبل النبوة إما من تمنيه
أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه
القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس
منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلوة والسلام

او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم
من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه الصلوة والسلام من جريان الكفر
على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون
للشيطان عليه سبيل او يتقول على الله تعالى لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية
ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام
متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى
متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه
قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
من اول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة
ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوه مكابرة في
قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية و
لا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة
لو امكنت وما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلانها
واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن على بعض مغفلي المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان
كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الايتين وهاتان الايتان تردان الخبر الذي
رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم

يعني هذا وشبهه ان الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف
كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال
عليه الصلوة والسلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح
فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم
ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون
قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال
القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن
وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة رسوله ترد
سفسافها فلم يبق في الآية الا ان الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار
وراموه من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم
الآية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته
ولكن على كل حال فقد اجاب عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها
ما رواه قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه
السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي صلى الله
عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في
نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وقد قال عليه الصلوة و
السلام ان عيني تنام ولا ينام قلبي وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث
نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال
وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه الصلوة
والسلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه

قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم هذا ربي على احد التاويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته و
هذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره
القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي في تلاوته تفصيلا
كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من
تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي عليه الصلوة والسلام بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار
فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ
السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها ما عرف عنه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها
وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي
صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون
الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس
به ويحكم الله اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو
اذا قرأ فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي
حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس
طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط
اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره
في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه

القصة والقراءة لعلي من سياق القصة فلذا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد بالغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانيق انها الملائكة
وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم
في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة
تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت
تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي
من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك
فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة
وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا
عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل
الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم اياته
ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب من ربه فلما
تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله
ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم

فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب
مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس
لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخايله قاله
ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشي الثوب القبر فان قلت فما معنى
ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول
او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم
اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب
سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا
الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه
الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم
العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله
ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على رسول الله
وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس في
ظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل على انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه
ذلك فقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه
من ثابت قال القاضي ابي الفضل ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد
والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن
انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة

لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان
الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي كذلك فسبقه لسانه او قلمه بكلمة او كلمتين
مما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول
يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته
كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به
لا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا في سورة وكذلك قوله عليه الصلاة و
السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآيات وجهان وقراءتان وانزلتا
جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها فذكرها النبي صلى الله عليه وسلم كما
قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله تعالى من ذلك ما احكم ونسخ ما
نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة وانك انت الغفور
الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا
الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقص الحق ويقض الحق وكل
هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا
يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله تعالى ويسميه
في ذلك كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل
البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي
بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم

من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق
السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق
جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم
توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا
ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر
فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضاً فان اخباره
وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل
من قصة رجوعه صلى الله عليه وسلم عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك
رأياً لا خبراً وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله صلى الله عليه وسلم والله
لا احلف على يمين فارى غيرها خيراً منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله صلى الله
عليه وسلم انكم تختصمون الي الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى يبلغ الماء
الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها
وايضاً فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان
استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعاً ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته و
ايضاً فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط
للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل
بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من
الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن

قليلة وكثيرة سهوا وعمدا اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز
على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح
في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل
النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش و
غيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف
واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم عنه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في
الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر قال
القاضي ابو الاصبغ بن سهل نا حاتم بن محمد نا ابو عبد الله بن الفخار نا ابو عيسى نا عبيد الله
نا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال
يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن و
في الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانها لم
تكن وقد كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا
الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف
والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول
البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق
في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسن

لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال
وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق ظاهرا وباطنا واما النسيان
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام
اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد
وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك
لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل من
هذه الوجوه يحتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى
والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله صلى الله عليه وسلم لم انس انكار
للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله صلى الله عليه وسلم في بعض روايات
الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر
قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى
سأل غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا لم
انس ولم تقصر اي كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي
ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشائخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو ولا ينسى لذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو
انما هو شغل قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته ولا يغفل عنها وكان يشغله
عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن

روي عنه صلى الله عليه وسلم ما نسيت ولا نُسّيتُ شغلتُ وقيل عندي أن قوله ما نسيتُ وما نسيتُ الآخر
الذي هو بيس دعوى الدنيا زاده الله السلم إن لم يطلق من كفتين أو كما قال الصلوة ولكن نسيت لم يكن ذلك من تلقاء
نفسي والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إني لا أنسى وإني لا أنسى لأسن وأما قصة كلمات إبراهيم عليه
السلام المذكورة في الحديث أنها كذبات الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله إني
سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته أنها أختي فاعلم أكرمك الله أن
هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض
التي فيها مندوحة عن الكذب أما قوله إني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم أي
أن كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم إلى عيدهم بهذا وقيل بل
سقيم بما قدر علي بالموت وقيل سقيم القلب بما أشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت
الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو
خبر صحيح صدق وقيل بل عرّض بسقم حجته عليهم وضعف ما أراد بيانه لهم من جهة النجوم
التي كانوا يشتغلون بها وأنه أثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم
ومرض حال مع أنه لم يشك هو ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم
نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى ألهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب
والشمس والقمر ما نصه الله وقد قدمنا بيانه أما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فإنه علق
خبره بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق
أيضا ولا خلف فيه وأما قوله أختي فقد بين في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام
وهو صدق والله تعالى يقول إنما المؤمنون إخوة فإن قلت فهذا النبي صلى الله عليه
وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن
كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق

ابراهيم بمؤاخذته بها واما الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورّى
بغيرها فليس فيه خلف فى القول انما هو ستر لمقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه
ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا
الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر
يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اى الناس اعلم
فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع
البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله انه ليس كذلك فاعلم انه قد وقع فى هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على
علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه و
معتقده كما لو صرح به لان حاله فى النبوة والاصطفاء يقتضى ذلك فيكون اخباره
بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله وانا اعلم
بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون
الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص
المذكورة فى خبرهما فكان موسى اعلم بالجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اُعلم
ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء
انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه
لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله فى تزكية نفسه
وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من
الكبر والعجب والتعاطى والدعوى وان نُزّه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها
ودرك ليلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال
عليه الصلوة والسلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا

احتجّ القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم منك ولا يكون الولي اعلم من النبي
واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف ولقوله وما فعلته عن امري فدل على انه بوحي ومن قال
انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي
غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم
منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة
الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع
اليه من موسى وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم **فصل** واما
ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه
الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع
المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك
الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع
وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحاق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من
كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع
على ذلك من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون
باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها
جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء و
المحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة
اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من
الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول
ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي الصغير منها بالاضافة الى

ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال ابو محمد عبد الوهاب
لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله تعالى صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في
العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء
وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها
اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت
الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم
به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما
كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب
بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم
من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم
وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك
وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة
ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر
او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل
على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل

وانه متى رأى شيئا فسكت عنه عليه الصلوة والسلام دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله
في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه
كما قيل إذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد
علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي
كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله
واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد
في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال
عليه الصلوة والسلام هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة
كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه الصلوة والسلام على الذي
اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده
والآثار في هذا اكثر من ان نحيط بها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله و
اقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن
ذلك ولما انكر عليه الصلوة والسلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة
عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا
به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون
به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة
وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب في خصال نبينا عليه السلام فبان لك فضل الله على نبينا وعلى سائر الانبياء عليهم الصلوة
والسلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل**
وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح
ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة

تقررها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال
نبينا عليه الصلوة والسلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة
لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في
حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت
حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر
بن الطيب الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان
ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من
سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر به شيء من ذلك جملة و
ذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا
هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي
ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه الصلوة والسلام وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق
النقل وهو مذهب ابي المعالي رضي الله عنه وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم
وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم
وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم اجمعين فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل
كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلوة والسلام آخر الانبياء فلزمت
شريعته من جاء بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة
الا لنبينا عليه الصلوة والسلام ولا حجة ايضا للآخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وللآخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الآية على اتباعهم

فى التوحيد كقوله تعالى أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ وقد سمى الله تعالى فيهم
من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول
وقد سمى الله تعالى جماعة منهم فى هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل
ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا هل يلزم من قال بمنع الاتباع
هذا القول فى سائر الانبياء غير نبينا عليه الصلوة والسلام او يخالفون بينهم اما من منع
الاتباع عقلا فيطرد اصله فى كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال
بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله فيلزمه بمساق حجته فى كل نبى **فصل**
هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف
واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان فى الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم
تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء فى ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه
فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو
فى القول فى هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك فى حق النبى صلى الله عليه وسلم
وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال فى هذا الباب لا يجوز طرو
المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض
عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها
بعد هذا ان شاء الله تعالى والى هذا مال ابو اسحاق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان
المخالفة فى الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائزة عليه كما تقرر
من احاديث السهو فى الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على
الصدق فى القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو فى الافعال فغير مناقض لها ولا قادح فى
النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه الصلوة والسلام

إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه
عليه الصلاة والسلام سبب إفادة علم وتقرير شرع كما قال عليه الصلاة والسلام إني لأنسى
أو أنسى لأسن بل قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام
عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون
أن الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم
وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام
من أفعاله عليه الصلاة والسلام وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع
فيه فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات و
الغفلات بقلبه وذلك لما كلفه من مقاساة الخلق وسياسة الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة
الأعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه الصلاة
والسلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض
معجزته وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه الصلاة و
السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الأحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى **فصل** في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو
منه عليه الصلاة والسلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو وما يمتنع
وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على
الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الأحاديث
الواردة في سهوه عليه الصلاة والسلام في الصلاة ثلاثة أحاديث أولها حديث ذي اليدين
في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود أن
النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي
قررناه وحكمة الله فيه ليستن به في البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال و

تبين ان لا ... هذا السهو بل يترتب عليه من الائتساء وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمنا
وان السهو والنسيان في حقه عليه الصلوة والسلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق
وقد قال عليه الصلوة والسلام انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني و
قال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه الصلوة
والسلام انى لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوى وقد روى انى لا انسى
ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار الى انه ليس بشك وان معناه التقسيم
اى انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد انى انسى في
اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع
اقبالى عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال والنبي
عليه الصلوة والسلام منزه عنها والسهو شغل وكان عليه الصلوة والسلام يسهو في صلوته
ويشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى
انى لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه الصلوة والسلام كان
عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف
يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله انى
لانسى او انسى فقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر
مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله انى لا انسى ولكن انسى
اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسى او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن

تشغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل التحرز من
العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر و
المغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تأخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى
وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ
له فان قلت فما تقول في نومه عليه الصلوة والسلام عن الصلوة يوم الوادي وقد قال ان
عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء في ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه
عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه عليه الصلوة والسلام غير ذلك كما يندر من
غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل قوله عليه الصلوة والسلام في الحديث نفسه ان الله
قبض ارواحنا ولو شاء لردها وقول بلال يا القيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما
يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم وتأسيس سنة واظهار شرع كما قال في الحديث الآخر فلو
شاء الله لا يقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون
منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي
ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله
فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث آخر كيف
وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل
لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه الصلوة والسلام ان الله قبض ارواحنا
ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال
اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شأنه عليه الصلوة والسلام التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر ولا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة
اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه

النبوة والسلام عن القول نسيت وقد قال عليه الصلوة والسلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني وقال لقد ذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله تعالى انه لا تعارض
في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن
اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من
سهوا او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه عليه الصلوة
والسلام على سبيل الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب
العبد فيه واسقاطه عليه الصلوة والسلام لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ
ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى
نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما
لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان
المجوزين الصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى
تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت
الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها
ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله

سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآية وما قص من قصص
غيره من الانبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما
آتاهما وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين
وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن
موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه
اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته عليه الصلوة والسلام
وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى
عن نوح والا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال
عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله
ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوة وما بعدها
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه الله انه مغفور له وقيل المتقدم ما كان قبل النبوة و
المتأخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه الصلوة والسلام
وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم
لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي
قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك قال مكي مخاطبة النبي عليه السلام هاهنا هي مخاطبة لامته
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك
الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وبمآل المؤمنين في الآية الاخرى
بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم

١ [illegible] التأويل ما تقدم [illegible] وما تأخر [illegible] والذي [illegible] الذي [illegible] كان [illegible]

٢ اي انزل [illegible] الفعل [illegible] في الآية الاخرى [illegible] المؤمنين والمؤمنات [illegible] ١٢

المغفرة هنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته
منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل
ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل اي حططنا عنك ثقل ايام
الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك
حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا
وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت
لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية و
اعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر
لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية
بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله تعالى من
ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحي فكيف وقد قال الله تعالى فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس
عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن
ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي
انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي
ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآية فليس فيه

الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر
الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه الصلوة والسلام احلت لي الغنائم ولم تحل
لنبي قبلي فان قيل ما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم و
تجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم و
علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس
بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله
سبق واختلف المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا
الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا
بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من
تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب و
المعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان
خير النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم
يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم في العام
المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن
لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل
فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه الصلوة والسلام في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب
ما نجى منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين و
اظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر
لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق و

الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص
فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر فيه اليه وقد نزهه الله عن ذلك قال القاضي خرج هذا الخبر
اهل الصحيح وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتب له من
احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله
يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل
مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته و
تاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار
وتذنيب هذا معنى كلامه واما قول الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات فليس
فيه اثبات ذنب له عليه الصلوة والسلام بل اعلام الله له ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان
الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله
عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه
الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر
الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى
الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم عليه الصلوة و
السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظلمين وقوله الم
انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل
وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له
عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو
لك ولزوجك الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد
اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن

الناصحين في توهمهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال
ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال و
لم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند
اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا
لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي
عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة و
دليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء
والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه
تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ
لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى الآية وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت
عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى
واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيها
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول
العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كاذب ابدا
وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم
الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله
ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء
في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم
يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا

ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا أنفسنا اذ كانا السبب في وضعهما أنفسهما غير الموضع
الذي أنزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت
الى ما سطره فيه الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله
على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر
ربه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع
وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك
واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان
يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشي
على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا والى نفي ما أضيف في الاخبار الى داود من
ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا
خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نتاج
غنم على ظاهر الآية وقيل بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة لما بسط له من الملك والدنيا واما قصة
يوسف واخوته عليهم السلام فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم
الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء ليس صريحا في كونهم من اهل الانبياء قال المفسرون يريد من نبي
من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا
والله اعلم واما قول الله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة لقول النبي صلى الله عليه وسلم
عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه

النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى همّ يوسف
من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على
طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن
ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير اي ولقد همت به
ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل في ربي انه الله تعالى وقيل الملك وقيل همّ بها اي بزجرها
ووعظها وقيل همّ بها اي غمها امتناعه عنها وقيل همّ بها نظر اليها وقيل همّ بدفعها وضربها وقيل
هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه
الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى
عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين
كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي
فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش
لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان
قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك
ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة
في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف
الشرع في اختبار يؤدي الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه
فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر

الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة
ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك
الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه
استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا
الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين
حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل
التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت
بشق رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي
عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه و
قيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه
وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه
ولا يصح ما نقله الاخباريون من خرافاتهم عما فعله من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه
وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء
من مثل هذا وان سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه
اجوبة اسدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله والثاني انه
لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله تعالى هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان
غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك ما ذكره المفسرون ان لا يسلط
عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك

وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة تخصص بها كاختصاص غيره من انبياء الله
ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لداود واحياء الموتى
لعيسى عليه السلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح
عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى انا منجوك
واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله
فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد
اعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فووخذ بهذا التاويل وعوتب عليه و
اشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى
ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح
من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم
تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا النبي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا
بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة
فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب
معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها
من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصى به ولا نص فيما اوحى الله اليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة
والسلام ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه الصلوة والسلام فالجواب
عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فان
قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين

قوله ما رواه الشيخان وابو داود عن ابي هريرة ١٢

و تذنيب تحقيق فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث
الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم
واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله وإياك ان درجة الانبياء
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم
بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المؤاخذة بها
واتوها على وجه التأويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب
بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم
فان الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اي آخره واذناب الناس رذالهم
فكان هذه ادنى افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم و
ظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر و
العلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش بما تكون بالاضافة اليه هذه
الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم
كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او
تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل
وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ
بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
قيل انه انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله
عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف
قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى
وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته

بهم في أضعاف ما نوّابه من سوء الأدب وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان
الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع
فحالهم إذاً في هذا أسوأ حالاً من غيرهم فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد
مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم و
يبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سبباً لمنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على
الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا له الريح إلى وحسن مآب قال بعض المتكلمين
زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضاً
فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجاتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر
ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع
بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة
للتوابين وقال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصاً له ولكن استزادة
من نبينا عليه الصلاة والسلام وأيضاً فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم
فهي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذاً عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي
مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن
كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم السلام
على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله على نعمه كما قال عليه
الصلاة والسلام وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر أفلا أكون عبداً شكوراً وقال إني
أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن أسد خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام
وتعبد لله لأنهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم أممهم كما قال لو تعلمون

ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا اشار
اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين فاحداث الانبياء والرسل التوبة والاستغفار والانابة والاوبة في كل حين استدعاء
لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه الصلوة
والسلام عن الجهل بالله تعالى وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله
جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع
اداه عن ربه من الوحي قطعا وعقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله
تعالى وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه
قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى
وغضب وجد ومزح فيجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه
الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد في بعضها
خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار
ولهذا ما احتاط عليه الصلوة والسلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد
مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله احد فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول
ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان

السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التى ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها فى اصول الفقه ويبتنى عليها مسائل لا تعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفى الفقهاء فى عدة منها وهى الحكم فى اقوال النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة فى افعاله عمدا وبحسب اختلافهم فى وقوع الصغائر وقع خلاف فى امتثال الفعل بسط بيانه فى كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتى فيمن اضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم فى الفتيا فى ذلك ومن اين يدرى هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة النبى صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين فى عصمة الملائكة فصل فى القول فى عصمة الملائكة اجمع المسلمون بان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم الانبياء سواء فى العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم فى حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا فى غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصى واحتجوا بقول الله تعالى لَا يَعْصُونَ اللّٰهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وبقوله وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ الاية وبقوله وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ الاية وبقوله إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ وقوله كِرَامٍ بَرَرَةٍ وقوله لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة اخرى الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض

تبرحنا اشار الى ان لا ملمس للفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان الكلام في ذلك من الكلام
في عصمة الانبياء من شنوذات الثلاثة التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فيهن قطعا
وأما فيما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار
ونقله المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه
الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ
بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما
نذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآية من افترائهم بذلك على
سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء
هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان
وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل على الملكين
الآية وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين على ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم
السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا
تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق
بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما
فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران
انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ
بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما
عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر
وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار
وقال خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان
يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين

فانهما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم
الله في ذلك بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل
هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين
بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن ابن ابزى بكسر اللام ولكنه قال
الملكان ههنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل
فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الآية على تقدير ابي محمد
مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى
بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه
كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله
فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان آدم
ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر ابن حوشب كان من الجن الذين
طردهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ
وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة
عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر
الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا تشتغل بها ٭٭٭٭

الباب الثاني

فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه الصلوة
والسلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من
الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس
بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد
كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة

التغير فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب
والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار و
كسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله
عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص
عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير
ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا عليه الصلوة
والسلام من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه
عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه
سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه
ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر
شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع
الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى
بعيسى وليكون في محنتهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم
قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغيرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود
بها مقاومة البشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة
منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه الصلوة
والسلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني
وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره و
ان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره
من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه الصلوة و
السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار انه كان محروسا

الحادث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعفت لذلك جسمه
وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه الصلوة والسلام قد اخبر انه لا يعتريه
ذلك وانه بخلافهم لقوله عليه الصلوة والسلام لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على
باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ
بعد في بيانه **فصل** فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه الصلوة والسلام
سحر كما **حدثنا** الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن
خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف اخبرنا البخاري اخبرنا عبيد بن اسمعيل قال اخبرنا ابو
اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان ياتي
النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي في ذلك
وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه و
قد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع
وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل
اليه انه فعل الشيء وما فعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته
او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه
عليه في امور دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر
البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد
فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن وقد قال
سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف

ما كان يخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخييلات وقد قيل ان المراد بالحديث
انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه من الاجوبة لائمتنا عن هذا
الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع
لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس
الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه
عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوه فاستخرجه من البئر وروي نحوه عن
الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما
عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عائشة رضي الله عنها خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس
رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب
فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما
تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن
وطئ نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي
اهله ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى
منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا
اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى
انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه
راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في

بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في بصره. وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبساً ولا يجد به الملحد المعترض أنساً **فصل** هذا حاله في جسمه فأما

أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها

فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف

أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعاً وقراءة قالوا أخبرنا أبو العباس

أحمد بن عمر قال أخبرنا أبو العباس الرازي أخبرنا أبو أحمد بن عمرويه أخبرنا ابن سفيان أخبرنا

مسلم أخبرنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا أخبرنا النضر بن

محمد قال حدثني عكرمة أخبرنا أبو النجاشي قال أخبرنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى

الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه فقال لعلكم لو لم تفعلوا

كان خيراً فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا

به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث

آخر إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي

فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب هذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه

من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن

إسحاق أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل

أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب

والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نعور ما وراءه

من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى له وشاورهم في الأمر

وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما

أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة

ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرنا اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما
هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي مشحون القلب
بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه
الصلوة والسلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها
ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما
ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم
المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه الصلوة والسلام انما انا بشر وانكم تختصمون
الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من
حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار **حدثنا** الفقيه ابو الوليد
رحمه الله اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ اخبرنا ابو عمر اخبرنا ابو محمد اخبرنا ابو بكر اخبرنا
ابو داود نا محمد بن كثير اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة
فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى الله
عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء
لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة
الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله
واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن
للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه

لا لاحدٍ في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية بحكمه هو اذ ذاك بالمكنون
من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه
على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه
وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علمٍ ويقينٍ من سنته اذ البيان بالفعل اوقع
منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان
واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام
امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي
استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسولٍ فيعلمه منه بما
شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل و

اما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حالٍ وعلى اي وجهٍ من عمدٍ او سهوٍ او صحةٍ او مرضٍ او
رضى او غضبٍ وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله
الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في
الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره
وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن
زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جملٍ ابن ناقة وكل انسانٍ بعينه بياض
وقد قال عليه الصلوة والسلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه
غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه
ان يأمر احدا بشيءٍ او ينهى احدا عن شيءٍ وهو يبطن خلافه وقد قال عليه الصلوة والسلام
ما كان لنبيٍ ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة القلب فان قلت فما معنى

قوله في قصة زينب وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية فاعلم أكرمك الله
لا تسترب في تنزيه النبي عليه الصلوة والسلام عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها
وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير
عن علي بن حسين أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها إليه زيد قال له
النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله
به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن
فائد عن الزهري قال نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله
يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله
بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تزوجها ويوضح هذا أن الله تعالى لم يبد
من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي أخفاه عليه الصلوة والسلام مما كان
أعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله
الآية فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله
لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين فيما أحل
لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند
ما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما
نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به
الأتقياء فكيف سيد الأنبياء عليهم السلام قال القشيري رضي الله عنه وهذا إقدام عظيم
من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد كثيرا وبفضله
وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن
منه عليه الصلوة والسلام وهو زوجها لزيد وإنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي
صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة الحرمة التي لزمت بالتبني كما قال ما كان محمد أبا أحد من

رجالكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة
في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه
صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم
تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله تعالى فلما طلقها زيد خشي قول
الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته
كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها
وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما
طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع
نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل
والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن
عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر ابن فورك و
قال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه
وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد
نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له قال رحمه الله تعالى ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطا قال
وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء ان يستحيي منهم ان يقولوا
تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه الصلوة والسلام من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح
حلائل الابناء كما كان فعتبه الله تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله

كما عتب عليه في مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم ما أحل
الله لك الآية كذلك قوله تعالى ههنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي عن الحسن
وعائشة رضي الله عنهما لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها
من عتبه وإبداء ما أخفاه **فصل** فإن قلت قد تقررت عصمته عليه الصلاة والسلام
في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه الصلاة
والسلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال أخبرنا القاضي أبو الوليد قال
أخبرنا أبو ذر قال أخبرنا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحاق قالوا أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا
محمد بن إسماعيل قال أخبرنا علي بن عبد الله قال أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن
عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما حُضِرَ عليه الصلاة والسلام وفي البيت رجال
فقال النبي عليه الصلاة والسلام هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن
تضلوا بعده أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي
بعض طرقه إن النبي يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر إن النبي عليه
الصلاة والسلام قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني
وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي غير معصوم من
الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم
أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان
أو اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال
هجر هجرا إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق

الإنكار على من قال لا يكتب هكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه الصلاة والسلام بأن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه الصلاة والسلام لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر رضي الله عنه أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم

عمر بترك الشريعة وتأسيس الملة وإن الله قال اليوم أكملت لكم دينكم وقوله عليه الصلاة
والسلام أوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قيل إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في
ذلك الكتاب في الخلوة أن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقيل إنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على
ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا تركهم وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه
فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول
العباس لعلي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه و
كراهة علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله دعوني فالذي أنا فيه خير أي
الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر أن الذي
طلب كتابته أمر الخلافة بعده وتعيين الخلافة **فصل** فإن قيل فما وجه حديثه الصا
الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي قال ثنا إبراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج
ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت
أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب
البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته
فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة وفي رواية
فأيما أحد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها بأهل وفي رواية فأيما رجل من المسلمين
سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله
عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو

يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا
ليس لها باهل اى عندك يارب فى باطن امره فان حكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر كما
قال وللحكمة التى ذكرناها فحكم عليه الصلوة والسلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه
عنده حال ظاهره ثم دعا له عليه الصلوة والسلام لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين
التى وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة
فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه الصلوة والسلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر
لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب
كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب
لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير
بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدى حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد
فى غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة
كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد فى صفته
عليه الصلوة والسلام فى غير حديث انه لم يكن عليه الصلوة والسلام فحاشا وقال انس
لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه الصلوة والسلام من موافقة امثالها اجابة
فعاهد ربه كما جاء فى الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون
ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من
لعن النبى صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون
ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة
لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون له عقوبته فى الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء فى

الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير في
قول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير
حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الماء الجدر فالجواب ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب لكنه صلى الله عليه وسلم ندب
الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في
قضيته وفيه الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه و
انه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه
فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعد حمله الغضب عليه بل وقع
في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا اردت ام ضرب
الناقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب عليه الصلاة والسلام الاقتصاص
منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط
لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه
بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه الصلاة والسلام لمن لم يقف عند نهيه صواب في
موضعه ادب لكنه عليه الصلاة والسلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه
واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس

خط خط وخشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف عن
بطنه وانما ضربه عليه الصلوة والسلام لمنكر راٰه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه
فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل** واما افعاله عليه الصلوة
والسلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو
والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله
على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بينا اذ كان
عليه الصلوة والسلام لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم به رمق جسمه وفيه
مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين
الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف
شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي
وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور
اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك
الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه
وسائر احواله وافعاله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من
امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه
كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له
الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل
المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم و
كراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة
على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم
لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان

قومك بالكفر لأسست البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره اسد منه
كما نقله من ادنى مياه بدر الى قريبا للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سقت الهدي ويبسط وجهه للبدوي والكافر رجاء استمالته ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار
الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في
منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه
وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون
منه ويضحك مما يضحكون منه وقد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب و
لا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان
قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول و
ضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف
جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه الصلوة و
السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه
ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموالهم العريضة فكيف بالكلمة اللينة
قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي و
قوله فيه بئس ابن العشيرة غير غيبة بل هو تعريف لما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله
ويحذر منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان
لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين
في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث
بريرة من قوله عليه الصلوة والسلام لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها
الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه الصلوة والسلام اشتريها واشترطي لهم الولاء

وفعلت ثم خطب فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة
عليه الصلوة والسلام قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولا هو والله اعلم لما باعوا من
عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه الصلوة والسلام وهو قد
حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع في بال الجاهل
من هذا ولتنزيه النبي عليه الصلوة والسلام عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ قد يقع لهم
بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم
الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء
لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه الصلوة والسلام اشترطي لهم الولاء ليس على
معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه
وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال لها اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع
والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على
علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه
وبيني لهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو عليه الصلوة والسلام
مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه
السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحل اخيه واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في
ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل
يوسف كان عن امر الله تعالى لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في
دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا
فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من
وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله

ربها العزيز أنكره لسان قومه فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل
قائله إن حُسّن له التأويل كأنما كان نظر على صورة الحال ذلك وقد قيل في ذلك
لفعلهم قبل نبوة يوسف وسماعه له وفيما غير هذا أو لا يلزم أن نقول الأنبياء ما لم يأت بهم
أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فإن قيل
فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال ويحيى
وزكريا وعيسى وإبراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم وهم خيرته من
خلقه وأحباؤه وأصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته
جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم
أحسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخباركم فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في
البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم
أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر
وأجزل حدثنا القاضي أبو علي الحافظ أخبرنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال أخبرنا أبو علي السنجي أخبرنا محمد بن محبوب أخبرنا أبو عيسى
الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن
أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة
وكما قال تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث وعن أبي هريرة ما من

البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عن النبي
عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث آخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله
ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار و
المؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلوته اليه ويوسف
نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان
وكان لهما جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا
علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه
وابيضتا من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من
كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن
الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له
الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من
نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه
فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت
الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني
اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث
ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي
عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا
البلاء ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي

يبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه عليه الصلوة

والسلام ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن

سخط فله السخط وقد قال المفسرون فى قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى

بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروى مثل هذا عن عائشة وابى ومجاهد وقال ابو هريرة عنه

عليه الصلوة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال فى رواية عائشة ما من مصيبة

تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال فى رواية ابى سعيد ما يصيب المؤمن من

نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه

وفى حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق الشجر

وحكمة اخرى اودعها الله فى الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم

لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة

السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد

من اختلاف احوال الموتى فى الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه الصلوة

والسلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفى رواية ابى هريرة من

حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت كذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر

كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض

راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع

وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله تعالى عن المؤمن

رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى

شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب

عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من

الالام ومعرفته ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالى المرض

اوشدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتّع بصحة جسمه كالارزة الصماء
حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته
اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب
الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة
الله في اعدائه كما قال فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة الاية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة و
لهذا كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي
الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف
من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهده لها للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا
الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل
الله تعالى ومن قبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده
وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب التنصل في
مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص
منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته و
بالانصار عيبته ودعا الى الكتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة فالله
اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه
المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
ولذلك قال عليه الصلوة والسلام في رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم
من حرم وصيته وقال موت الفجاءة راحة للمؤمنين واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك
لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيفما جاء

وتمنوا الى راحة من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه الصلوة والسلام مستريح ومستراح
منه وتأتي الكفار والفجرة منيتهم على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليهم وفراق
الدنيا افظع امر صدمهم واكره شيء لهم والى هذا المعنى اشار عليه الصلوة والسلام بقوله
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصريف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم
وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمع
الامة على قتل متنقصه عليه الصلوة والسلام من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان
الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده الاية وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع
منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبيه بهم وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما
فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة
الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا
نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب
الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا
تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب

لرجل ناداه يا ابا القاسم فقال له لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته
لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة
الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه الصلوة والسلام حمى اذاه بكل وجه فحمل
محققوا العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في
هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله
تعالى وان ذلك على طريق توقيره وتعظيمه وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويا نبي الله وقد
يدعونه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه الصلوة
والسلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذ لم يوقر فقال تسمون اولادكم
محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله
عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد
ورجل يسبه ويقول فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب
لا ارى محمدا عليه الصلوة والسلام يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا
باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلوة والسلام بدليل اطباق
الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروى ان النبي صلى الله
عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه الصلوة والسلام ان ذلك اسم
المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن
ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة

وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمنا

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه عليه الصلوة والسلام سب او نقص من تعريض او نص قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او دينه او نسبه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ان شاء الله تعالى ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من المحنة والبلاء عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال القاضي ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري عن ابي حنيفة واصحابه مثله فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن سعيد الفارسي

الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء
ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له و
حكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه فقد كفر واحتج ابراهيم بن حسين
بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله
عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب
قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية
وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل و
حكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان
ابن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب
والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول
من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا
ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر
ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك
وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي
صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من
دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه فانه يقتل بلا استتابة وافتى
ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابي طالب بالقتل و
افتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم

إذ مرّ بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي صفة هذا المارّ في
خَلْقه ولحيته قال لا تُقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان و
قال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يُقتل
وقال في رجل قيل له لا وحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعل الله برسول الله كذا
وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدوّ الله فقال له أشدّ من كلامه الأول ثم قال
إنما أردتُ برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يُقبل لأنه
امتهان وهو غير مُعزّر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقّر له فوجبت إباحة دمه و
أفتى أبو عبد الله بن عتّاب في عشّار قال لرجل أدِّ المكسَ واشكُ الى الرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم بالقتل و
أفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقّه الطُّلَيطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه
بحقّ النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم وختنِ حيدرة وزعمه
أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا وأفتى فقهاء القيروان
وأصحاب سُحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرا متفنّنا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة فرُفعت عليه أمور منكرة من هذا
الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبيّنا عليه الصلوة والسلام فأحضر له القاضي يحيى
بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطُعن بالسكين وصُلب منكّسا ثم أُنزل و
أُحرق بالنار وحكى بعض المؤرّخين أنه لما رُفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت
وحوّلته عن القبلة فكان ذلك آية للجميع وكبّر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى
بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلوة والسلام أنه قال
لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط من قال إن النبي صلى الله

عليه وسلم حرم تسبيناً فان تاب فلا قتل لانه تنصير له اذ لا يجوز ذلك عليه في خاتمته
اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب
والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا
وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا او نقصا يجب قتل قائله لم يختلف
في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد
ان شاء الله تعالى وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو والنسيان
او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من متن
وبالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء
في ذلك ويأتي ما يدل عليه ان شاء الله تعالى **فصل** في الحجة في ايجاب قتل من سبه او
عابه عليه الصلوة والسلام فمن القرآن لعنه الله لمؤذيه في الدنيا والاخرة وقرانه
تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الاية وقال في قاتل
المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا الاية وقد يقع
القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اى لعنهم الله ولانه فرق
بين اذاهما واذى المؤمنين مادون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله و
نبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه
فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاؤك

يحيّوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها الاية وقال تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبيّ ويقولون هو اُذنٌ ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولنّ انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم
قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا
الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال نا ابو الحسن
الدارقطني وابو عمرو بن حيّوية اخبرنا محمد بن نوح اخبرنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن
بن زبالة اخبرنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد
بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه انّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من سبّ نبيًّا فاقتلوه ومن سبّ اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر
النبيّ صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه
يؤذي الله ورسوله ووجّه اليه من قتله غيلةً دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلّل باذاه فدلّ انّ قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء
وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح
بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبّه عليه الصلوة والسلام وفي حديث
اخر انّ رجلا كان يسبّه عليه الصلوة والسلام فقال من يكفيني عدوّي فقال خالد انا فبعثه
النبيّ صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار
ويسبّه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح
وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وروى البزار عن ابن عباس
انّ عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اُقتل من بينكم صبرا فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
عبد الرزاق انّ النبيّ صلى الله عليه وسلم سبّه رجل فقال من يكفيني عدوّي فقال

الزبير أنا فبادره فقتله الزبير وروى أيضا أن امرأة كانت تسبه عليه الصلوة والسلام فقال
من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث عليا والزبير ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي أمية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امرأة
هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك
ابا بكر فقال له ابو بكر لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل
من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه
فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي
كنت يوما جالسا عند ابي بكر فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد
من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه
قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة
بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او
سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل
سب عمر فكتب اليه عمر انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين

ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قبل ومن سب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه الصلوة والسلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الاية قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه الصلوة والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه الصلوة والسلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل

الانصاري قال له ان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقد اوذي النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا
يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول
الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم و
يداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا و
سكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان عليه الصلوة
والسلام يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم و
يصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان
وبذلك امره الله فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم
واصفح الاية وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وذلك لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع
الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة
ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه ككعب بن
الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك هدر صلى الله عليه وسلم دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذى حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر واكثر تلك
الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية مع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا في فيئتهم ورجوعهم
الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه الصلوة والسلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم
من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله
بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار

وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه الصلوة
والسلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب
من صبي وعبد وامراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام
وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله عنها ولو
كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه عليه الصلوة والسلام اصحابه على فعلهم
وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان
اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال
بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم
ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وايضا فان الامر كان سرا
وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار و
الناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين
في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم
وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند
وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم
الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت
معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه الصلوة والسلام
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا
بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء
الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه
وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته

المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا
النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين نسختها ما كان قبلها وقال بعض مشائخنا لعل القائل هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم الطعن عليه
والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الرأى وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها
فلم ير ذلك شيئا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه
وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب لا دعاء الا بما لا بد
منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسآم و
السآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب لهذا ترجم البخاري على هذا
الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا
وليس هذا بتعريض بالسب انما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن
نصر رضي الله عنه مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل
كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحربي لا يترك موجب الادلة للامر المحتمل
والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال
الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرناه معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر
عليه الصلاة والسلام لهم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم
واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على
من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين و

كاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم بسيوف المسلمين واجلاهم
من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم ليكون كلمة الله هي العليا وكلمة
الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة انه عليه الصلوة
والسلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي
انتقم منها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول
والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من
الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي رداءه حتى اثر في عنقه و
كرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما
من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه كافر
رجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله
وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما بلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين
وصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق ٭

فصل قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه
عليه الصلوة والسلام والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا
وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل
لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه
تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة
ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه الصلوة والسلام نقيصة مثل ان
ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من
مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها

عليه الصلوة والسلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او يأتي بسفه من القول او
قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه
اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه او
عجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد
في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله
عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر
بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لانه من شرب الخمر على علم من زوال
عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق
والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف
لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جنايتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا
كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون **فصل** الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه
فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين
آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه
اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته
لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان
كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه

ان شاء الله تعالى قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال ان بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود يقتل لم يكن عليه الصلوة والسلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو

لكن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على
ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل
لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله
عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله
عليه وسلم او شتم الملائكة ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه
الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي
في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق
عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده وهل اراد اصحاب
الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه
العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء و
الرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات
لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال
لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما
اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال
لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما
جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفته بالسنن فعليه الادب الوجيع وذلك
ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس
على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول

البرقی واصبغ

قرنان

الحدیث

الی الناس

ولا شك انه يقتل في مثل هذا السب من آبائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا
العدد منقطع الى آدم عليه السلام فينتهي الامر عنه وتبين ما جهل قائله منه وشدد الادب
فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في مثل هذا
لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي
صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض آبائه واخراج النبي
ممن سبه منهم وقد رأيت لابي موسى ابن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه
ان ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف انت
فكان شيخنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد
بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال ظاهر اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من
الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله ابن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد
عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي
برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من
يستراب بدينه فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل
الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يستشهد ببعض احواله عليه الصلوة والسلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب
المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته
ليس على سبيل التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل

التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتندير بقوله كقول الجهال
ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وان كذبت فقد كذب الانبياء او
ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله تعالى ورسله
او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب وقد صبر نبي الله من
عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي ـ انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري ـ كنت
موسى وافته بنت شعيب ۰ غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر البيت شديد وداخل
في باب الازدراء والتحقير بالنبي وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله ـ لولا انقطاع
الوحي بعد محمد ۰ قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه ۰ لم يأته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله
عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر
استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر ـ واذا ما رفعت راياته ۰ صفقت
بين جناحي جبرئيل وكقول الاخر من اهل العصر ـ فر من الخلد واستجار بنا ۰ فصبر الله
قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد وفي وزيره ابي بكر بن زيدون ـ كان ابا بكر ابو بكر الرضى ۰ وحسان حسان وانت محمد
الى امثال هذه وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير
من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه
من الوزر وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما
الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد
اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها

وان لم تتضمن عبارته اضافة الى الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام نقصا ولست
اعنى عيبى المعرة ولا قصد هاتكها ازدراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة و
لا عزر حرمة المصطفى ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه فى كرامة نالها او معرة قصد
الانتفاء منها او ضرب مثلا لتطييب مجلسه او اغلاء فى وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله
خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده
فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره او قرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه
ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابى نواس قوله
ــه فان يك باقى سحر فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب قال له يا ابن اللخناء
انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه من عسكره من ليلته وذكر القتيبى ان مما
اخذ عليه ايضا وكفر به او قارب قوله فى محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبى صلى الله عليه
وسلم حيث قال ــه تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها * خلقا وخلقا كما قد الشراكان
وقد انكروا عليه ايضا قوله ــه كيف لا يدنيك من امل * من رسول الله من نفره لان
حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم فى امثال هذا
ما بسطناه فى طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس و
اصحابه ففى النوادر من رواية ابن ابى مريم عنه فى رجل عير رجلا بالفقر فقال له تعيرنى بالفقر
وقد رعى النبى صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى غير موضعه ارى ان يؤدب
قال ولا ينبغى لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا
كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبى صلى الله عليه وسلم كافرا فقال
جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لى ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبى صلى الله
عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب تعظيما وتوقيرا له كما امرنا الله تعالى

وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان
فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه
حين رآه من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى
مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع
على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن النار
فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته
فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه
في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل
هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة
الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال له الشاب أليس كان النبي أميا
فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن
أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وكون النبي أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله تعالى
فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه
يوجب الكف عنه ونزلت أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي
أبا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك
وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم
يقصد السب وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله **فصل** في الوجه السادس
أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته

ووقيعة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة اوجه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه
والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس
على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب
بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه
العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه
ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين و
قياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من
هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي
صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي
صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق
على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر
سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه
وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد
بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته
قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما
شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية
قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي
صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي
بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى

مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم و
الوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف من أئمة
الهدى من المسلمين على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث
بن أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها وأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات
والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان
ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع
والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه
أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه
واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوم ببعض الأدب فهو مستوجب
له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد وقد حكي أن رجلا سأل
مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن
غيري فقال مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره
أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف له
أو التحفظ لمثله وطلبه أو رواية أشعار هجوه عليه الصلوة والسلام وسبه فحكم هذا
حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية
أمه وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه
وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به

النبي صلى الله عليه وسلم وقراءته وكتابته ومكة متى وجدت ... رحم الله اسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته
الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها
واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر
الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء
لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم **فصل** الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي او يختلف
في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به
وصبر في ذات الله تعالى على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله
وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية
ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن
هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر
اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة
الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقهه او يخشى
به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من
تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن وقد قال عليه الصلوة
والسلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا
وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه
جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت
عادة جميع العرب نعم للانبياء في ذلك حكمة بالغة وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته
وتدريبهم برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل

ومستفيد العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده
ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته إذ أظهره الله بعد هذا على صناديد
العرب ومن ناواه من أشرافهم شيئاً فشيئاً ونمى أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم
واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين و
ألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب
كثير من الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل أبا
سفيان عنه هل في آبائه من ملك فقال لا ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه
وإذ اليتم من صفته وإحدى علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم السالفة وكذا وقع ذكره
في كتاب أرمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب وكذا إذا وصف بأنه
أمي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته العظمى
من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم
وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الأول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب
ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة إذ
المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة
في نفسها فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية في غيره
نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين أمره من أمر غيره وجعل
شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه وإخراج حشوته
كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنائه وهلم جرا إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمته بيته زهداً ورغبة عن الدنيا وتسوية

بين صغيرها وحقيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره
وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد
ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك
ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام في الاحاديث مما في
ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان
يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فقد كره التحدث
بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث
بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه
رحمه الله على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة
من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله
عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته و
مجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها
الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها وحملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن
ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله
ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعاني واهية الاسناد وقد انكر
الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها
او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس
بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم

فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالته ما قدمناه في الفصل
قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلوة والسلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه
علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي عليه الصلوة والسلام لو قدر عليه والنصرة
له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة والتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه الصلوة
والسلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف
في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا وغلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة فاذا تكلم على العلم قال هل يجوز عليه الا يعلم الا ما علم وهل يمكن الا يكون
عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته
واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة
بعض الصغائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا
من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلوة والسلام وما يجب له من تعزير
واعظام صلى الله عليه وسلم وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم
استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا
في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه الصلوة والسلام اوجب
والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الشيء او
يهونه ولهذا قال عليه الصلوة والسلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة
النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب

في حكمه على حالي ولكن مع هذا يجب له حبه وتوقيره وتعظيمه وتنزيهه عند ذكره وعند ذكره فكيف
عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف الصالح تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما
قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها
مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه
واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفره

الباب الثاني

في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته عليه الصلاة والسلام
قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه قد قدمنا ما هو سب أذى في حقه عليه الصلاة
والسلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على
ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه واقوال السلف
وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء
كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه
لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى
اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين الله تعالى
فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب
لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن
ابن القصار في ذلك قولين قال فمن شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر
نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر بذلك ومنهم من قال اقبل توبته
لاني استدل على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه وهذا قول اصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى

ولا يتخرج فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واحمد واسحق لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف
وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه عليه الصلوة والسلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا
القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر
محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته
ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعائب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه الصلوة
والسلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه
لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي
فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرهما ولم يقتل ساب
النبي صلى الله عليه وسلم لكفره ولكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك
لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يريد والله اعلم لان سبه لم
يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من
سب النبي عليه الصلوة والسلام ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق
الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا
كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل

وان ابى قتل ويحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اظهر واشهر لما قدمناه
ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك
مع فصلين اما مع انكاره ما شهد به عليه او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات
كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه
في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون
عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد و
النبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع
عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت
له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما
لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله و
متقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك
حرمة الله تعالى وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام
العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها
على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى **فصل** اذا قلنا بالاستتابة حيث
تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف
في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور العلماء على ان المرتد يستتاب وحكى ابن
القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك

واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق واصحاب الرأي وذهب طاوس ومحمد بن الحسن
وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره
عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر
قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم من
بدل دينه فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال
ابو حنيفة وقال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب
الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد
قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير
وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ محمد بن ابي زيد رحمه الله يريد في الاستيناء ثلاث
وقال مالك ايضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان
تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب قتل مكانه
واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار
عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة
وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه
واختلف على هذا هل يهدد ويشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما
علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ

يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ
في تلك الايام ويخوف بالنار ويذكر بالجنة قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من
السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله خيفة ان يتلفه على
المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله
عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك ويستتاب ابدا كلما
رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب
الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد
في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي **فصل** هذا حكم
من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم
الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد
الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال
من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلوته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به
لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد بن مسلم عن مالك
والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد
عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته
وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ

ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من
القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى
ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي
الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى
شاهدين فاثبت من عداوتهما وجرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما
فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك و
يكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه
بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد

فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد
على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم
قالوا لا يقتل وما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا
على قتله بقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل
ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم
لم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان
ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم
وان كان ذلك منهم حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون
به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف
عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه
المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله

بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطن الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنه
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول
الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم
يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام
بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا
كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب المبسوط
وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة
او احدا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية
وعند محمد وابن سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او
غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر
وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر
فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا وانما ارسل
اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله
واما ان سبه فقال ليس بنبي ولم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله
او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين
الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك
يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه

وسلم شتماً يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم
محمل قوله عندي إن أسلم طائعاً وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول
للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من
رواية سحنون عنه من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت
عنقه إلا أن يسلم وقال محمد بن سحنون فإن قيل فلم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا
فإذا قتل واحداً منا قتلناه وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب النبي صلى الله
عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا في
قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به
كفروا فتأمله ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى أبو المصعب الزهري
قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته
أو عاش يوماً وليلة وأمرت من جر برجله فطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل
أبو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمداً فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكاً
عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة فهو الآن في الجنة
ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك
أرى أن تضرب عنقه قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها بشيء ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت
قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى
للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء أحرقه بالنار حياً إذا تهافتوا
في سبه ولقد كتب إلى مالك من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك

فكتبت اليه بان يقتل او تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب بان يحرق
بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه و
نفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق بالنار وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة
سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله
وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله
من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء
القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقط
عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله واما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم
حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو
القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد
ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة
عليه اختلف العلماء رضي الله عنهم في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا
به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر
للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس
من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك
كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما

يُشعر بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في الجاهل المتمادي بيّن لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد
غير تائب ولا مُقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى
على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك وفي كتاب ابن حبيب فيمن
اعلن كفره مثله قال ابن القاسم حكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل
الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ قتل على ذلك او مات
عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف في انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى
ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في
كتاب ابن حبيب فيمن كذب بالنبي صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام
ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين فلا ترثه ورثته ربيعة
والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي ابن ابي طالب وابن مسعود
وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحاق
وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بيّن وهو على رأي اصبغ وخلاف قول سحنون
واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق فمرة ورّثه ورثته من المسلمين قامت
عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة
وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب
محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقاله ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب
والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما
شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث فان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك

[illegible]

كل من اشرك كفرا فانهم سواء ثم يدعون الى الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين لكن لانه من فيئهم لنقضه العهد

هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي عليه الصلوة والسلام وازواجه وصحبه لا خلاف ان سابّ الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في

لادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكى فوجه من قال فى ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال من دين الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى دين آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد علم انه قد خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر اهل العلم وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف فى فصوله

فصل

واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطأ المفضى الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفى صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف فى تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه فى ذلك ولم يختلفوا فى قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا فى المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة فى عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضى الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز فى الخوارج وقول عبد الملك بن الماجشون وقول سحنون فى جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك فى الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وعن جده وعمه من قولهم فى القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم فى اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم فى كتاب محمد فى اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم

عليه ومثله له في المبتدعة والاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون
وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روى ايضا مثله عن سحنون فيمن قال
ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي
مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه
قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار
وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع
ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا
في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي
يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري
من ائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري
واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روى عنهم
ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث
وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول اكثر المحدثين و
الفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع
المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول
وممن روى عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر
والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين

وتجري احكام الاسلام عليهم وقال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر
اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب
ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان
كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين
وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل** في تحقيق القول
في اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين
ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه اليه قوله
وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي
قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين وهو
قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين
ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت لا في
غيره وقال وهو قول جميع اصحاب مالك كلهم منهم المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم
وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى
نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ
القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على
نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأى من كفرهم
بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم
على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا
نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه
قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة

الجهل بوجود الله تعالى وقال مرة من اعتقد أن الله جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه
في الدروب فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب أبو المعالي في أجوبته لأبي محمد عبد الحق
وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بأن الغلط فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة أو إخراج
مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير
في أهل التأويل فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك ألف
كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فإذا
قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس
عليه وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح
بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسمية الرافضة بالشرك وإطلاق
اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير
وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين و
الزوج وغير معصية وإذا كان محتملا للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع و
قوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السماء
طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال عليه الصلاة والسلام فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر
هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك
من قتالهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون
أهل الإسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس
كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتج بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن

لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم يمرقون
من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم إلى فوقه وبقوله
صلى الله عليه وسلم سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء احتج الآخرون
أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل
جوارحهم وعارضوهم بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك
في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل من هذه الأمة وتحرير أبي سعيد الرواية
وإتقانه اللفظ أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة
بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر و
علي وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون من أمتي وحروف المعاني
مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا على إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد
رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب
المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر
بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيها
لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئا قديما لا يقال
له الله فهو كافر وقول بعض المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما
هو من أوصاف الله تعالى فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم
يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال
المجتهدين في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا
سواه على أن الحق في أصول الدين واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف

وتكفيره وقد حكى القاضي ابوبكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني
وقال حكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في
طلب الحق من اهل ملتنا ومن غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا
من العامة والبله والنساء ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم
اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة
وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق
دين الاسلام او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابوبكر لان التوقيف والاجماع
على كفرهم فمن وقف في ذلك كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه
لا يقع الا من كافر فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه
وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع و
لا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر
فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم
او النار او احد غير الله تعالى من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان و
غيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيته ولكنه
اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او متوددًا او ادعى له ولدا او صاحبة
او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان
صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين
من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج

اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى
والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على
مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد
في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عز وجل عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر
بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين
ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية
من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من
دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء
الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا
ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة
والحشر والنشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها و
مفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح
لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد
الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف
به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر
باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان
نذيرا او نبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى

بان من أمة الأخلاف فيها نذيرًا إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه الأجناس
بصفاتهم المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم
ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس
الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب
به وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه الصلوة والسلام أو بعده كالعيسوية
من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل و
كأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده
وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية
منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان وأشباه هؤلاء أو من ادعى النبوة لنفسه أو
جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة و
كذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو أنه يصعد إلى السماء
ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا نبي بعده وأخبر
عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء
الطوائف كلها قطعًا إجماعًا وسمعًا وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص
الكتاب وخص حديثًا مجمعًا على نقله مقطوعًا به مجمعًا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج
بإبطال الرجم ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف
فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب
سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل

قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة او تكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا
اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة
باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم
اشار مالك رحمه الله في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم
النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه
يكفر بعده على قولهم لعنهم الله وصلى الله على رسوله محمد وآله وكذلك نكفر بكل فعل
اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله
ذلك الفعل كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس و
البيع مع اهلها والتزيي بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون
ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا
ايضا مما حرم الله عز وجل بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة
المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع و
ما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع
المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات او عدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب
الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه
اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون
على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم
ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة
منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم

على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل
هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي عليه الصلوة والسلام فسرها بهذه التفاسير
غلطوا او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن
خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك
ان تسأل عن هذا الذي لا تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن
كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة
هي مكة والبيت الذي هو فيها الكعبة والقبلة التي صلى لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج و
المراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوة
المذكورة هي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله عز وجل بذلك
وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك و
المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق
فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع
الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وفعله وتفسير مراد الله عز وجل ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون
لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او
غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي
صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الصيمري
انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة

وكفرهما بهذا القول وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله تعالى لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا
مما نص فيه القرآن بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده
ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقرآن ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة
او النار او البعث والحساب او القيمة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة
نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر
والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة
وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما
من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال الشريعة
ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر
وعمر او قتل عثمان او خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد
شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر
من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان
ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى
ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع

والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم
في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا
عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة
وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما
أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي
والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة
ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي أبو بكر
وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض و
التولد وشبهها من الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل
بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقدمنا
في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى
فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي
تناول من حرمة الله غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب
وقال مالك في كتاب ابن حبيب ومبسوطه وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن
سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب
قال ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوطة طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو
دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية
والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم
من غير أهل الأديان الله عز وجل بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال
المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما

كان ادكاراً وإن تاب لا أقتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك قال أبو محمد
بن أبي زيد من سب الله بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب
قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على
ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي
كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله تعالى وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لأنا عاهدناهم
على أن لا يظهروا لنا شيئاً من كفرهم ولا يسمعونا شيئاً من ذلك فمتى فعلوا شيئاً منه
فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن
عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل
لأنه دين لا يقر عليه أحد ولا تؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب لا أعلم من قاله غيره
فصل هذا حكم من صرح بسبه تعالى وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته فأما مفتري
الكذب على الله تعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو النافي أن يكون الله خالقه أو ربه
أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا خلاف
في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد
العقاب ليكون ذلك زجراً لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر
ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار
كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي وأما المجنون
والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما
فعله من ذلك في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه
كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة

على سوء الخلق حتى تراضى وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى له الالهية
وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء و
الملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على تصويب فعلهم والمخالف في ذلك من تكفيرهم
كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل
الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا
ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد اذ ذاك ابو الحسن بن عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم
في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او
قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ
يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي
تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو
محمد في من لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره و
لا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران
قال انا الله ان تاب أدب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر
المتلاعبين **فصل** واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه و
اهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء
ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد
للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك
ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن
خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال

تبا الحزاز رش جلوته وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربٌّ عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذاً لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب هذا المطلوب من نساياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت منه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا * قد كنت تسقينا فما بدا لكا * انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا

ونحو من القول والله جل جلاله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز
انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى لا يقول اخزى الله الكلب
فعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله سبحانه الا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما
لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب
على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول
هؤلاء يتمندلون بالله سبحانه وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله
عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق لله **فصل** حكم من سب سائر انبياء الله
وملائكته او استخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه الصلوة
والسلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَ
يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ الآية وقال تعالى قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا
وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الى قوله لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وقال تعالى كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ
مَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ قال مالك في كتاب ابن حبيب
ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم
الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان
يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء عليهم الصلوة والسلام من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفر ضربت عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا
الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملائكته
قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال
ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه
عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه

بعيد من المغرب بالغراب قال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء
او تنقص احدا منهم او برئ منهما وشك في شيء من ذلك فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي
في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي
ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين
ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه او حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة
الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه
من الانبياء كعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق
على قبول الخبر بها فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من
الملائكة والرسل والانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي
القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي
تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر المقول
فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم
وكون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم بذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد
ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته
عمل لاهل العلم فكيف للعامة **فصل** واعلم ان من استخف بالقرآن او بالمصحف او
بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء
مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك
في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام
بن احمد رحمه الله تعالى ثنا ابو علي اخبرنا ابن عبد البر اخبرنا ابن عبد المؤمن اخبرنا ابن
داسة اخبرنا ابو داود اخبرنا احمد بن حنبل اخبرنا يزيد بن هارون اخبرنا محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القران كفر تؤول
بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية
من كتاب الله عز وجل من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل
وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا
قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي
وقع الاجماع عليه واجمع المسلمون على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا
راى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران
قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل
وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب
عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه وقال وكذلك ان شهد شاهد
على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا
لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده
رجل لم يقل له ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع
انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من

القرآن فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله
ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله تعالى وقد سئل القابسي عمن خاصم
يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم
شهد آخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد
الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله تعالى لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على
لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ
احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف
مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك
على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن
افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي
لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من
لعن المصحف فانه يقتل **فصل** وسب اهل بيته واصحابه وازواجه صلى الله عليه
وسلم وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله اخبرنا ابو
الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل قالا اخبرنا ابو يعلى اخبرنا ابو علي السنجي اخبرنا ابن
محبوب اخبرنا الترمذي اخبرنا محمد بن يحيى اخبرنا يعقوب بن ابراهيم اخبرنا عبيدة
بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن
آذى الله يوشك ان يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه [illegible]

وقال عليه الصلوة والسلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي
فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله
عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام وقال لا تؤذوني في اصحابي فان من اذاهم
فقد اذاني قال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عائشة وقال عليه الصلوة والسلام
في فاطمة هي بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل
وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر
وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا
بسب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى محمد بن ابي زيد عن سحنون
من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى عن مالك من سب ابا بكر رضي الله
عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل له لم فقال من رماها فقد خالف
القران وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه
بنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه

المنافقون الى عائشة رضى الله عنها فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم
بهذا سبحانك فسبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا
يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة رضى الله عنها ومعنى هذا والله أعلم ان الله
لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان حكم مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك
كما قدمناه وشتم رجل عائشة رضى الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي
فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه الى الحجامين
وروى عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم
في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتى باعرابي يهجو الانصار فقال لولا
ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من تنقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس
له في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة اصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين
ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء الانصار ثم قال تعالى
والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الاية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم
انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله
كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه الصلاة والسلام من سب
اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان
كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان
على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله
عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة رضى الله عنها

من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما انه يقتل لانه سب النبي صلى
الله عليه وسلم بسب حليلته والآخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالقول الاول
اقول وروى ابو المصعب عن مالك من سب من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا
وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه
وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو
كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر الصديق في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد
والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم
اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله
وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق انه ان كان اراد ان شهادته
في مثل هذا لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب
ضربا يبلغ به حد الموت وذكر وجها رواية قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
ورحمه هنا انتهى القول فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط
الذي شرطناه مما ارجو ان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته و
منزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق
لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت
من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه او تلقين لاكتفي بما ارويه
عما ارتئيه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله
من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف
مصطفاه وامين وحيه ولما اسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا
من ابراز خصائصه ووسائله وان يحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه

ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن نفهم بكتابه وكتابه
سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها
رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصة في زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل
الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جميع و
الهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله
ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته
على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله واصحابه اجمعين
وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين
والحمد لله رب
العالمين

[illegible]

خاتمة الطبع

الحمد لله مزيل الكرب والداء ومنزل الرحمة والشفاء والصلوة والسلام على سيد
الانبياء وآله الاتقياء واصحابه الاصفياء وبعد فيقول العبد الضعيف محمد حسن
الصديقي النانوتوي قد وقع الفراغ من هذا الكتاب المستطاب المسمى بالشفاء في احوال
المصطفى جزى الله عنا مؤلفه احسن الجزاء ثاني شهر صفر الخير سنة سبع وثمانين
بعد الالف والمائتين من هجرة رسول الثقلين صلى الله عليه وسلم يوم الاربعاء ولقد
اجاد من تفوه في تقريظه وتحسينه واحسن الانشاء فقط

شفاء النفوس لنا الشفاء	اضاء النور منه والسناء

ونال محبه كل الاماني ... فزال به عن القلب الصداء
تكاد لا نوده ابدا علينا ... ظلام الليل مادلنا ضياء
بجواهر نظمه درر وانقى ... من الياقوت حقا لامراء
حوى حكما وموعظة وحكما ... فصاحة من له شهدت ظباء
فصاحة خير رسل الله فيه ... ومدح الله فيه والثناء
فصاحة منطق وبليغ لفظ ... وحكمة حاكم وله العطاء
واخبار به تتلى علينا ... كلام جامع فيه الهداء
فمذ حل الشفاء بنا شفينا ... وزال البؤس عنا والشقاء
اثاب الله جامعه عيانا منا ... جنان الخلد فيه له الجزاء
وزاد محبه شرفا وفضلا ... وبلغه المهيمن ما يشاء

ولعمري انه لحق وكلمة صدق وكان قد تصدى لتحشيه المكرمي المولوي احمد حسن المراد ابادي من الابتداء الى النصف فعاقه عوائق من الاتمام فعطفت عنان همتي لتحشية البقية بتوفيق العلام واجتمع عندي من نسخ الكتاب وشروحه عدة التي اتخذتها في الطبع والتصحيح عمدة لكنا كلما قلما اخذنا من غير الشرح للملا علي القاري فانه اسهل الشروح فهما واضبطها واحضرها نظما وقاسينا في تصحيحه التعب والكد وبذلنا غاية السعي والجهد فالمرجو من الناظرين ان يسبلوا ذيل العفو والاحسان على ما وقع منا من الزلة او الغلط او النسيان واخر دعونا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولينا محمد وآله واصحابه اجمعين

وقلت مؤرخا

بذل المصحح جهده وعناءه ... ليحوز من خير الورى بشفاعته
يا قارئا بالله قل في حقه ... يغفر له رب العالمين برحمته
لو شئت عام الطبع ارخ قائلا ... تمت تكمل الشفاء بر افته

ترك من سطر عنوان الكتاب لفظ الشارح بعد قوله مصطفى في الطبع الصحيح لا ولى النهر